الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة قاصدي مرباح ـ ورقلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

# صورة النبي ﷺ في كتاب المراثي النبوية في أشعار الصحابة

## لمحمد شمس عقاب ـ شعراء الحجاز عينة ـ دراسة موضوعاتية وفنية

مذكرة من متطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

الميدان: اللغة والأدب العربي

الشعبة: دراسات أدبية

التخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالب:
عبد اللطيف بالعيد

إشراف الأستاذ:
أحمد حاجي

لجنة المناقشة

| أعضاء اللجنة | الرتبة العلمية | الصفة | الجامعة |
|---|---|---|---|
| علي محدادي | أستاذ التعليم العالي | رئيسا | جامعة قاصدي مرباح ورقلة |
| أحمد حاجي | أستاذ التعليم العالي | مشرفا ومقررا | جامعة قاصدي مرباح ورقلة |
| قوال أم الخير | أستاذ مساعد | ممتحنا | جامعة قاصدي مرباح ورقلة |

السنة الجامعية: 2023 / 2024 م ـ 1445 هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

# الإهداء

إلى والديّ الكريمين: أبي أسأل له المغفرة والرحمة، وأمي بارك الله

في عمرها

إلى زوجتي الحبيبة

إلى ابني وابنتي العزيزين وفقهما الله في دراستهما الجامعية

إلى كل محبي العلم.

عبد اللطيف بالعيد

# شكرو عرفان

الحمد لله وحده على امتنانه وكرمه والصلاة والسلام على رسول الله،

خير من أرسل.

أسدل جزيل الشكروالعرفان إلى أستاذي القدير المشرف، الأستاذ

الدكتور: أحمد حاجي والذي رافقني في بحثي هذا حتى خلص إلى

ما هو عليه فكانت توجيهاته نعم المرشد.

كما أتوجه بالشكر إلى أساتذتي الكرام وإلى الأساتذة أعضاء لجنة

المناقشة سدد الله خطى الجميع.

عبد اللطيف بالعيد

**ملخص البحث بالعربية:**

تهدف هذه الدراسة إلى قراءة النص الشعري العربي القديم ،إذ تتناول شعر الصحابة في مراثيهم للنبي(صلى الله عليه و سلم)،و هو غرض شعري مستحدث في عصر صدر الإسلام.

فكانت صورة النبي صلى الله عليه وسلم عند شعراء الصحابة، في كتاب المراثي النبوية لمؤلفه محمد شمس عقاب مبتغى هذه الدراسة الموضوعاتية للمراثي النبوية وفنية للصورة النبوية والذين عبروا عن هذه الصورة من خلال صفاته الخُلقيَّة وهو بينهم. ثم عبروا عن وقع المصيبة وموت النفس النبوية وانتقالها إلى الملأ الأعلى.

و قد ارتكز شعراء الرثاء النبوي على التصوير البياني للتعبير عما اختلج نفوسهم وهم يرثون النبيّ محمد(ص)، فكان التشبيه والكناية والاستعارة وسائل لنقل تلك الصور لتنتقل تلك الصور التقليدية إلى صور نفسية ،كان لها أثرا بالغا في نقل تلك المشاعر الدينية و التجربة الإنسانية.

**الكلمات المفتاحية:**

شعر ،المراثي-الصحابة-الرسول-صدر الإسلام ،الصورة ،الإيقاع

**الملخص بالإنجليزية(summary):**

This study aims to read the ancient Arabic poetic text, as it deals with the poetry of the Companions in their praise of the Prophet (may God bless him and grant him peace), which is a poetic purpose developed in the era of early Islam.

The image of the Prophet, may God bless him and grant him peace, was among the poets of the Companions, in the book The Prophetic Mirrors, by its author Muhammad Shams oqab. The aim of this thematic study of the prophetic elegies and the art of the prophetic image and those who expressed this image through

His innate qualities are among them. Then they expressed the impact of the calamity, the death of the prophetic soul, and its transition to the highest assembly.

The poets of prophetic lamentation relied on graphic imagery to express what stirred in their souls as they mourned the Prophet Muhammad (PBUH). Similes, writing, and metaphor were means of conveying those images, so that those traditional images turned into psychological images, which had an impact.

They exaggerated in conveying those religious feelings and human experience.
Key words:
Poetry, elegies, companions, the Messenger, the beginning of Islam, image, rhythm

الملخص بالفرنسية:

Cette étude vise à lire le texte poétique arabe ancien, car il traite de la poésie des Compagnons dans leur louange au Prophète (que Dieu le bénisse et lui accorde la paix), qui est un objectif poétique développé à l'époque des débuts de l'Islam. L'image du Prophète, que Dieu le bénisse et lui accorde la paix, figurait parmi les poètes des Compagnons, dans le livre Les Miroirs Prophétiques, de son auteur Muhammad Shams Aqab. Le but de cette étude thématique des élégies prophétiques et de l'art. de l'image prophétique et ceux qui ont exprimé cette image à travers

Ses qualités innées en font partie. Puis ils exprimèrent l'impact de la calamité, la mort de l'âme prophétique et sa transition vers la plus haute assemblée.

Les poètes des lamentations prophétiques s'appuyaient sur des images graphiques pour exprimer ce qui remuait dans leurs âmes alors qu'ils pleuraient le Prophète Mahomet (PSL). Les comparaisons, l'écriture et les métaphores étaient des moyens de transmettre ces images, de sorte que ces images traditionnelles se transformaient en images psychologiques. a eu un impact.

Ils ont exagéré en transmettant ces sentiments religieux et cette expérience humaine.

Les mots clés:

Poésie, élégies, compagnons, leMessager, début de l'islam, image, rythme

**مقدمة:**

يصنف الرثاء على أنه أحد أضرب الشعر العربي القديم ،أماعن الرثاء النبوي والذي يعتبر مستحدثا إذ ظهر عقب وفاة النبي (ص) مباشرة ،ليحمل خصائصا فنية متنوعة والتي من بينها الصورة النبوية في أشعار الصحابة رضوان الله عليهم فلأهمية هذه الخاصة الفنية في محتوى أشعارهم جاءاختيارموضوع دراستي والموسوم ب:

**صورة النبي (ص) في كتاب المراثي النبوية في أشعار الصحابة لمحمد شمس عقاب.**

-شعراء الحجاز عينة-دراسة موضوعاتية فنية

أما عن أسباب اختياري للبحث في هذا الموضوع، الرغبة في الخوض في فنيات الشعر العربي القديم وإبراز بعض خصائصه ومن ثم السعي للوصول بهذا البحث لأهدافه المتوخاة وهي إبراز تنوع صورة النبي(ص) في أشعار الصحابة من خلال الكتاب ، وإبراز أثر وفاته في نفوس شعراء صحابته وذلك من خلال قصائدهم.

ومن كل ذلك جاءت إشكالية بحثي الرئيسة على النحو التالي: كيف صور الصحابة النبي(ص) في أشعار مراثيهم النبوية من خلال الكتاب ؟

لتنبثق اشكاليات فرعية في شكل أسئلة: كيف تفاوتت صورة النبي (ص) في مراثي أشعار الصحابة من خلال الكتاب ؟ وكيف كان المعنى والمبنى الشعري في القصائد حينها؟

اعتمدت المنهج الموضوعاتي الفني الذي مكنني من تتبع الصورة المقصودة فنيافي كتاب المراثي النبوية في أشعار الصحابة.

أما عن محتوى البحث وخطة عملي للإحاطة بمختلف جوانب البحث وعناصره المتفرقة سرنا على ضوء الخطة الموالية :

تمهيد تطرقت فيه إلى تعريف بالرثاء والقصيدة الرثائية النبوية وتتبعت تطور الصورة الشعرية

الفصل الأول: قصيدة المراثي النبوية وشعراؤها بمبحثين: الأول: أنماط الرثاء النبوي(خطاب التفجع-خطاب التأبين-خطاب التعزية)،والثاني: شعراء المراثي النبوية وصور أنماط الرثاء النبوي

الفصل الثاني: تجليات صورة النبي(ص)الفنية عند شعراء الحجاز: المعنى والمبنى، بمبحثين:

الأول: من ناحية المعنى والثاني: من ناحية المبنى

وختمت بحثي بمعجم شعري فيه أهم المصطلحات الرثائية، ثم بخاتمة تضمنت حوصلة لأهم النتائج المتوصل إليها من خلال إبراز مختلف صور النبي (ص) في شعر المراثي النبوية من خلال الكتاب لشعراء صحابته (ص)،ثم قائمة المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها ثم فهرسا لمتضمنات البحث ،ثم ملحقا عرفت فيه بالكاتب والكتاب.

أما الدراسات السابقة التي ساعدتني في دراسة موضوعي أذكر :

- صورة الرسول(ص)في شعر صدر الإسلام

- المراثي النبوية في صدر الإسلام أحمد حاجي، رسالة ماجستير جامعة تلمسان 2002

-صورة النبي(ص)في المدائح النبوية خلال العهد الزياني، ديوان الثغري التلمساني-أنموذجا-

ومن أهم وأبرز المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها وكانت أساسية في البحث:

-كتاب المراثي النبوية في أشعار الصحابة لمؤلفه محمد شمس عقاب

-الصورة الفنية في الشعر العربي-مثال ونقد- لمؤلفه إبراهيم بن عبد الرحمن الغنيم

ولا يخلو أي عمل بحثي علمي إلا وتعترضك فيه صعوبات إذ تعلقت هنا بطبيعة الموضوع نفسه باعتباره مستحدثا في صدر الإسلام ،مع قلة المراجع التي تتناول الرثاء النبوي أو صعوبة الحصول عليها إن وجدت .

أتوجه بخالص الشكر والثناء والامتنان للأستاذ المشرف الأستاذ الدكتور أحمد حاجي الذي كان نعم المعين والموجه حينما قام بمتابعة عملي طوال فترة الإعداد فكان نعم المشرف والمتتبع والمقوم، أحسن الله إليه وزاده علما ورفعة.

كما أتوجه بالشكر مسبقا للجنة التي ستقرأ العمل وتجيزه وتناقشه.

حاولت قدر المستطاع في هذا البحث توخي الصدق والأمانة العلمية، وهو جهد نضعه بين أيديكم فإن أصبنا فبتوفيق من الله وإن أخطأنا فمن أنفسنا والشيطان ونتمنى أن نكون قد وفقنا في الإحاطة بجوانب الموضوع والإلمام به سائلا الله تعالى أن يحض هذا العمل بالقبول والإفادة .

الطالب: عبد اللطيف بالعيد

تماسين في:2024/05/15

# تمهيد

# الرثاء والقصيدة الرثائية النبوية وتطور الصورة الشعرية

## تمهيد: الرثاء والقصيدة الرثائية النبوية وتطور الصورة الشعرية

### 1-مفهوم الرثاء:

الرثاء لغة: أصله من مادة رثا، يرثوا، رثوا وجاء في لسان العرب أن الرثاء هو: بكاء الميت ومدحه، إذ يقول ابن منظور في ذلك: " رثى فلان فلانا، يرثيه رثيا ومرثية إذا بكاه بعد موته، قيل رثا، يرثيه، ترثية أو رثوت الميت أيضا إذا بكيته وعددت محاسنه وكذلك إذا نظمت فيه شعرا[1]".

ورثي، يرثى، رثى، ورثيا كان به رثية، المرثاة والمرثية: ما يرثى به الميت من شعر وسواه وجمعه مراث[2].

وكل هذه التعريفات وغيرها تصب في تعريف واحد وهوفي بكاء الميت.

الرثاء اصطلاحا: الرثاء من الأغراض الشعرية البارزة في التراث العربي بروزا حتميا وهو فرصة للتعبير عن الشعور الصادق، الذي يفيض حسرة ونشيجا إذ وجد الشاعر أمامه هذا القضاء الذي لا مفر منه، وهو يكاد يتعمق في القدم منذ وجد الإنسان ووجد أمامه مصير الموت والفناء.

فإذا كان الرثاء هو بكاء الميت وإظهار اللوعة لفراقه والحزن لموته، وعد خصاله الكريمة، فهو عند العرب البادية تشييع الميت بمشي الأقارب خلف الجنازة حفاة ويحل النساء شعورهن ويلطخن رؤوسهن بالرماد. وقد تحلق النساء رؤوسهن حزنا على الميت[3].

أما المرثية النبوية فهي: كل شعر قيل في وفاة الرسول (ص) حزنا عليه أو ثناء أو وفاء أو ترحما أو غير ذلك من معاني الرثاء.

### 2-مفهوم الصورة:

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار الصادر بيروت، ج 1، ط1، 2000، مادة رثا
[2] فؤاد إفرام البستاني، منجد الطالب، دار المشرق، لبنان بيروت، طبعة 22، سنة 1986، ص230
[3] حسن جاد حسن، الأدب العربي بين الجاهلية والإسلام، دار العرب، دمشق، ط1، سنة2012، ص147

الصورة لغة: التمثال وجمعها صور مثل غرفة وغرف وتصورت الشيء مثلت صورته وشكله في الذهن فتصور وقد تطلق ويراد بها الصفة كقولهم صورة الأمر كذا أي صفته ومنه قوله صورة المسألة كذا أي صنفها وأصاره الشيء بالألف فانصار بمعنى أما له فمال. ومنه يقال رجل أصور بين الصور بفتحتين أي مشتاق بين الشوق وصورا المسك وعاؤه. بضم الصاد ورأيت صوار من البقر بالكسر أي قطيعا[1] ، وجاء في لسان العرب:

صور: في أسماء الله تعالى: المصور وهو الذي صور جميع الموجودات ورتبها وأعطى كل الشيء منها صورة خاصة وهيئة مفردة يتميز بها على اختلافها وكثرتها.

وجاء في معجم العين للخليل في مادة صور:

صور: الصور: الميل: يقال فلان يصور عنقه إلى كذا أي مال بعنقه ووجهه ونحوه النعت أصور: قال الشاعر:

" فقلت لها غضّي فإني إلى الّتي  تريدين أن أصبو لها غير أصور[2]"

الصورة اصطلاحا:

بلاغيا: هي الشكل الذي يتميز به الشيء أو ما ينقش به الأعيان وتميزها عن غيرها.

**3-أقسام الصورة:**

يقود تتبع أشغال ومسار الصورة في المجالين النقدي والبلاغي إلى تمييز أنواع من الصور تأتي على النحو التالي:

**3-1-الصورة الفنية المادية:** هي اللقطة التي تسجل وضعا معينا لشيء سواء أكان حيا أو ظواهر طبيعية، وهذا ما تصفه آلة التصوير وذلك ما يصنعه الفنان.

[1] أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، قاموس اللغة المصباح المنير، د.م.ط، د.ط، د.ت، ص479
[2] البيت في اللسان الصلب، وفي الديوان، ص103

**2-3-الصورة الشعرية:** حينما نرى مصطلح الصورة الشعرية يتبادر إلى أذهاننا، كيان مصور للقصيدة، كأننا ننظر إلى صورة مزخرفة مؤطرة بألوان ملفتة، تجذب نظر من يراها، ويشده للتأمل فيها. وهذا ما يكسبها أهميتها ومكانتها في القصيدة، فهي من الأركان والعناصر المهمة في القصيدة، التي تتآلف مع بعضها البعض؛ لتكمل لنا القصيدة أو العمل الأدبي بشكل عام وتظهره في أبهى صورة، وهو ما يريده الشاعر ويقصده من أول مرحلة في إنشاء القصيدة، هي أن يرتضي القصيدة في نفسه، ويؤثر بها في سامعيه، ولهذا يستخدم الصورة ويجعلها من أولى اهتماماته، فهي التي تعطيه القدرة على تصوير خاطره ومشاعره وتجربته، وليس هذا فحسب بل ينقل لنا صورة الواقع بالنسبة له، ومن الزاوية التي يراه بها.

وبالإضافة إلى ذلك؛ فإن الصورة الشعرية تعد معيارا وميزانا مهماً للناقد، لمعرفة جودة الشعر من عدمه، وللمفاضلة بين شاعر وآخر، ففي حين هناك شاعر أبدع في جمال الصورة الشعرية وحسنها وعدم التكلف فيها، نرى شاعرا آخر طريقته في عرض صورته الشعرية غير مناسب وغير مستحسن، ويظهر التكلف والتعقيد فيها حتى يذهبها رونقها.

"فقد أظهرت الدراسات النقدية أن العمل الأدبي لا يتوقف عند الصياغة اللفظية، ولا يعتمد على التفكير المنطقي وحده، وإنما ينبع من مصدر آخر أيضاً يمده بطاقة إيحائية ترسم له مشاهد خلابة تبهر العقل وتمتع النفس وتهيئ له سبل الاستمتاع والالتذاذ، وتروض له القوانين الكونية الجامحة التي تعجز الإنسان في التغلب عليها وإخضاعها لرغباته، حيث لا يكتفي الإنسان بما يقدمه له العمل ولا يرضى بالممكن الواقعي فقط، وإنما يتوق إلى تحقيق الرغبات الدفينة في أعماق النفس، ومن هذا المنطلق نجد الفلسفة العربية القديمة تنظر في الحواس، وتربط بين الخيال وما يؤدي إليه الواقع من صور حسية عبر الحواس الخارجية،

ولهذا نجد الخيال قوة تجسيم أو تجسيد حسي، وهذا الأمر جعلهم يركزون على ناحيتي الإدراك والنزوع إلى التأثير في المتلقي أكثر من تركيزهم على الناحية العاطفية الوجدانية، فجنحوا إلى دراسة التخييل، وابتعدوا عن البحث في ماهية الخيال وقدرته في إنتاج الصورة الشعرية، ولكن ذلك لا يعني أن تكون دارستهم غير مجدية، بل لها الدور المهم في بناء النظرية النقدية فيما بعد[1]".

وسندرس بشيء من الإيجاز، آراء النقاد القدامى والمحدثين في الصورة الشعرية وأهميتها ومدى فاعليتها في إخراج العمل الأدبي بالصورة المطلوبة.

**3-2-1-الصورة الشعرية عند النقاد القدامى:**

تنبه نقادنا القدامى للأهمية القصوى للصورة الشعرية في العمل الأدبي المتكامل الأركان وطالبوا بها، وأكدوا ونبهوا على معايير التصوير الجيد، الذي يلامس القلوب. وحذروا من مغبة إظهار الصور معقدة مبهمة بسبب تكلف الشاعر في التصوير، وبذل الجهد والمشقة البالغتين لينقل لنا صورة عن خاطره ومشاعره، لأن التكلف والتصنع يذهبان برونق العمل الأدبي وطلاوته.

فنرى الجاحظ يقول: "والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، والبدوي والقروي، والمدني. وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير". [2]

فالجاحظ يقر بأن الشعر نسج وصناعة وتصوير في النهاية.

[1] خليل حاوي، الصورة الشعرية، هدية جمعة البيطار، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، د.ط ، د.ت، ص24

[2] الجاحظ، الحيوان، تحقيق: د عبد السلام محمد هاون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفي البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط2، سنة 1965، ج3، ص131

وتبعه قدامة بن جعفر في نفس هذا المفهوم :"ومما يجب تقدمته وتوطيده قبل ما أريد أن أتكلم فيه أن المعاني كلها معروضة للشاعر، وله أن يتكلم منها في ما أحب وآثر، من غير أن يحظر عليه معنى يوم الكلام فيه، إذ كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعة، والشعر فيها كالصورة [1]".

وهنا يبرز أهمية الصورة ،كونها حلبة في منافسة قرض الشعر وسبكه.

وهو نفس ما أدلى به ابن رشيق القيرواني في أهمية الصورة.

أما الجرجاني فيقول: "ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة، وأن سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه، كالفضة والذهب يصاغ منهما خاتم أو سوار. فكما أن محالاً إذا أنت أردت النظر في صوغ الخاتم، وفي جودة العمل ورداءته، أن تنظر إلى الفضة الحاملة لتلك الصورة، أو الذهب الذي وقع فيه ذلك العمل وتلك الصنعة، كذلك الحال إذا أردت أن تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام، أن تنظر في مجرد معناه، وكما أنا لو فضلنا خاتماً على خاتم، بأن تكون فضة هذا أجود، أو فصه أنفس، لم يكن ذلك تفضيلاً له من حيث هو خاتم، كذلك ينبغي إذا فّضلنا بيتاً على بيت من أجل معناه، أن لا يكون تفضيلاً له من حيث هو شعر وكلام. وهذا قاطع، فاعرفه[2]".

حيث يشير الجرجاني لاحتواء التصوير في حضن المعنى ،ومن تم فإن التفضيل يقع في رونق الصورة الشعرية لافي المعنى المحمول عليها.

أما الناقد أبو هلال العسكري فجعل جودة الصورة وبرا عتها، شرطاً أساسياً في قبول الشعر والحكم عليه بالصحة أو بالخطأ فيقول: "البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن. وإنما جعلنا حسن

[1] أحمد مطلوب ،معجم المصطلحات ،مكتبة لبنان،ط1، 2001،ص276

[2] عبد القاهر الجرجاني ،دلائل الإعجاز، ص 254- 255

المعرض وقبول الصورة شرطاً في البلاغة؛ لأن الكلام إذا كانت عبارته رثة ومعرضه خلقاً لم يسم بليغاً، وإن كان مفهوم المعنى، مكشوف المغزى"[1].

وهنا يشير إلى أن الشعر لا يكون بليغا دون صورة شعرية محبكة ومؤثرة في نفس السامع. أماالقرطاجني فيرى أهمية الصورة من حيث كونها:" تعبيرا عن الإدراك بصورة حية تقوي دلالة الألفاظ فإذا عبر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك أقام اللفظ المعبر به هيئة تلك الصورة الذهنية في أفهام السامعين وأذهانهم. فصار للمعنى وجود آخر من جهة دلالة الألفاظ"[2].

فتلازم اختيار اللفظ عند تشكيل الصورة شيء ضروري لإدراك المعنى المرغوب والمؤثر.

فهذه آراء بعض النقاد القدامى في الصورة الشعرية وأهميتها، ودورها الأساس في القصيدة والتي بدونها تختل ويذهب رونقها وشاعريتها. فلم يختلف هؤلاء النقاد كثيرا في مدى هذه الأهمية، وقد تشابه كلامهم بنسبة كبيرة، لأنهم كانوا يروا أنها من المسلمات التي لا يختلف عليها اثنان. وسنرى في الجزء التالي آراء بعض النقاد والكتَّاب المحدثين في هذا الشأن.

**3-2-2-الصورة الشعرية عند النقاد المحدثين:**

رؤية الصورة الشعرية عند المحدثين لا تختلف عن رؤية النقاد القدامى لها، فهي ليست بدعة ابتدعها المحدثون، أو اختراعا جديداً على الشعر، بل هي قديمة قدم الشعر العربي ولكن استخدام الصورة يختلف بين شاعر وآخر، كما أن الشعر الحديث يختلف عن الشعر القديم في طريقة استخدامه للصور[3].

وكذلك يتفق النقاد قديمهم وحديثهم على مكانة الصورة الشعرية، وأهميتها لكونها ركناً أساسياًمن أركان البناء الشعري، ففي هذا الجانب يقول محمد مندور:" واللفظ العادي قد يكتسب قوة شاعرية بارزة إذا دخل في جملة أو تركيب شعري أو صورة بيانية، والشيء الذي يجب أن يحرص عليه الشاعر هو أن يبتعد عن الأسلوب التقريري المسطح الخالي من كل تصوير

[1] أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص10
[2] حازم القرطاجي، منهاج البلغاء، ص18
[3] إحسان عباس، فن الشعر، دار التفافة، بيروت، ط3، د.ت، ص230

أو نتوء بياني، والأدب عامة والشعر خاصة لا يلائمه إلا التصوير البياني، أي التعبير عن طريق الصورة[1]".

فلا شاعرية دون تصوير بياني-حسب محمد مندور-فاللفظ يلائمه التصوير لبلوغ التأثير.

ونرى كذلك جمهورا من النقاد المحدثين يتلمسون فروقات ومميزات تميز الصورة في الشعر القديم عنها في الشعر الحديث، والدكتور عز الدين إسماعيل أحدهم، حيث يرى أن الصورة الشعرية في الشعر القديم :"صورة حسية حرفية شكلية، وقد استتبع ذلك صفة أخرى جوهرية هي " الجمود "، فلم يكن في الصورة أي خاصة عضوية أو حركية، بل كانت عناصر جامدة. وكذلك كانت الصورة القديمة " جميلة " دائماً[2]".

أي أن الصورة الشعرية الحديثة تميزت عن القديمة بكون الأولى حسية وجامدة، أما الثانية فعضوية وحركية.

وعلى عكس ذلك فقد تمتعت الصورة في الشعر الحديث بمزايا تميزها عن مثيلتها في الشعر القديم، فيرى أن لها فلسفة جمالية خاصة، وأن فيها حيوية ونشاط :"وذلك راجع إلى أنها تتكون تكوناً عضوياً، وليست مجرد حشو مرصوص من العناصر الجامدة. ثم إن الصورة حديثاً تتخذ أداة تعبيرية ولا يلتفت إليها في ذاتها، فالقارئ لا يقف عند مجرد معناها، بل إن هذا المعنى يثير فيه معنى آخر هو ما سمي " معنى المعنى ". بعبارة أخرى أصبح الشاعر يعبر بالصور الكاملة عن المعنى كما كان يعبر باللفظة. وكما كانت اللفظة أداة تعبيرية فقد أصبحت الصورة ذاتها هي الأداة، وكذلك ارتبطت الصورة دائما بموقف من الحياة، ودلت على خبرة الشاعر ونظراته الدقيقة في دقائق الأمور. بذلك أصبحت الصورة تنقل مشهداً حياً، كما تلخص خبرة وتجربة إنسانية[3]".

---

[1] محمد مندور، الأدب وفنونه ،د.م.ط ،د.ط ،د.ت ، ص40

[2] عز الدين إسماعيل ،الأدب وفنونه دراسة ونقد ، دار الفكر العربي ،القاهرة، د.ط ، سنة 2013، ص81

[3] المرجع السابق، ص82

وهنا يستطرد فيقر أن الصورة الشعرية هي أداة بلوغ المعنى ،عوض أن يكون اللفظ مناط ذلك ،بل إن التصوير ينقل الخبرات والتجارب الإنسانية.

ونرى كذلك رأي الدكتور إحسان عباس في هذا الشأن حيث يقول :" لا نعرف أن العرب تحدثوا عن الخيال، وإنما كانت كل قواعدهم النقدية تعتمد التنظيم وتهتم به اهتماماً بالغا حتى في أوضح الصور التخيلية كالمجاز والتشبيه والاستعارة، أي تنظيماً لعملية التخيل نفسها، ولذلك نستطيع أن نقول بغلو العرب في الناحية الكلاسيكية حتى كادت أهمية الخيال تنعدم ويحور الشعر إلى صنعة لا تحتاج إلى كثير من الخيال[1]".

فالنظم والصنعة مقدمان عند الشعراء القدامى عن أهمية الإيغال في الخيال.

ويستشهد بكلام للعسكري للتدليل على كلامه بأن النقاد القدامى أوغلوا في التركيز على الجانب الكلاسيكي أكثر من الجانب التخييلي.

ويرى الدكتور جابر عصفور أهمية الصورة إذ: "بفضلها يصل الشاعر إلى تثبيت العلاقات التي تصل ما بين الأشياء والفكر، وما بين المحسوس والعاطفة، وما بين المادة والحلم أو الخيال الذي يتجاوزها. والصور تتوالد من المقارنة بين أمرين متباعدين قليلاً أو كثيرا. وفي عالم الحس أشياء ونبات وحيوان، ولكن ليس فيه صور. والشاعر هو الذي يخلق هذه الصور من مواد الحس الغفل. وخاصة الصور القوية أنها تتولد من تقريب الشاعر – تقريبا تلقائيا – بين حقيقتين جد متباعدتين، يقف عليهما بفكره وخياله. فإذا كانت الحواس وحدها هي التي تجيز الصور الشعرية وتستحسنها، فإن هذه الصور لا قيمة شعرية لها [2]".

فهنا دور الشاعر هو التوفيق بين متباعدين: الأشياء والمحسوس ثم الفكر والعاطفة ولا يتأتى ذلك إلا بالصورة الشعرية.

[1] إحسان عباس، فن الشعر ، ص144
[2] المرجع السابق، ص400

أما عن الأنماط والألوان الأبرز في الصورة الشعرية فهي التشبيه والمجاز والاستعارة والكناية ،وهذه الصور الخيالية تخلق الاتزان اللطيف في ثنايا العمل الشعري، وتضفي عليه وشاحا من الجمال والرونق، إذا استخدمت استخداماً طبيعياً، لا أثر للتكلف فيه، وإذا ابتعدت عن الإغراق في التخيل والتيه فيما وراء الطبيعة[1].

ويؤكد الدكتور عصفور أن دراسة الأنماط البلاغية للصورة الشعرية تبين مدى ترابطها وتماسكها بحيث لا يمكن د راسة أحدها بمعزل عن الأنواع الأخرى، فهي تشكل سلسلة مترابطة ،فما سيقال عن الكناية مثلاً يمكن أن يقال عن الإرداف والتمثيل، وما يقال

عن التمثيل يمكن أن يقال عن التشبيه والاستعارة، وما يقال عن الاستعارة يمكن أن يقال عن المجاز بنوعيه. وليس ثمة مفر من التوقف عند التشبيه والاستعارة فحسب. والاختيار هنا له ما يبرره بالفعل، فالتشبيه هو أكثر الأنواع البلاغية أهمية بالنسبة للناقد والبلاغي القديم، والحديث عنه بمثابة مقدمة ضرورية لا يمكن تأمل الاستعارة والمجاز دونها. أما الاستعارة فإنها تتيح لنا أن نشير إلى المجاز دون أن نفصل فيه، فضلا عن أ نها– وهذا هو المهم – توضح النتائج التي ترتبت على فهم القدماء لفاعلية الخيال الشعري وحدوده وطبيعته[2].

وهنا يؤكد الدكتور عصفور على تواثق الصلة بين الأنماط البلاغية :التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية أثناء أخذها بالدراسة والتحليل لتشكيل الصورة الشعرية.

ويوضح الدكتور محمد غنيمي هلال ما أدلت به المذاهب الأدبية المختلفة من آراء وتوجهات بخصوص الصورة الشعرية، ويستغرق في شرح هذه التوجهات، ويستشهد بأمثلة كثيرة من الشعر.

---

[1] مصطفى عبد اللطيف السحرتي ،الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ، مطبعة المقتطف ،د.م.ط ،د.ط ، سنة 1948، ص46

[2]جابر عصفور، الصورة الفنية ،د.م.ط ،د.ط ،د.ت، ص171

تجمع الدراسات النقدية الحديثة على اختلاف آرائها على أن الصورة بالمفهوم الفني لها تعني ما تثيره الكلمات الشعرية بالذهن شريطة أن تكون موحية ومعبرة، ومن ذلك نفهم أن الصورة قد تطلق على الشيء المشابه لغيره[1].

يعني أن الصورة الشعرية بماهيتها الفنية هي ما تحدثه في الذهن من أثر ،ومن أمثلتها في ذلك استعمال التشبيه في تلك الإثارة.

وعموما فإن التيار العام في النقد العربي القديم يكاد يحصر المدلول اللفظي للصورة في الجانب المادي المحسوس من الكلام واللفظ الذي يقابل المعنى[2].

أي أن الصورة الشعرية في النقد العربي القديم مناطها الجانب المادي المحسوس من اللفظ محمولا على المعنى المراد.

[1] إبراهيم بن عبد الرحمن الغنيم، الصورة الفنية في الشعر العربي، الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، سنة 1996، ص6

[2] المرجع نفسه ،ص12

# الفصل الأول

# قصيدة المراثي النبوية وشعراؤها

## الفصل الأول: قصيدة المراثي النبوية وشعراؤها

### المبحث الأول: أنماط الرثاء النبوي

بعد أن استقر مفهوم الرثاء بوصفه بكاء الميت والتحسر والتفجع عليه، وذكر محاسنه والتغني بأمجاده وخصاله الحميدة، فإن الرثاء كان في أصله تعويذات تقال للميت وعلى قبره حتى يطمئن في لحده، تم تطور وتحول عندهم إلى بكاء ونواح وندب إضافة إلى تأبين الميت والإشادة بخصاله وصفاته الحميدة[1].

وتراث الشعر العربي القديم غني بهذا الغرض (المراثي )،ومعظم هذه المراثي التي وصلت إلينا تميزت بصدق اللوعة وحرارة العاطفة ،ولا سيما المراثي التي تقوم على رابطة الرحم والقربى التي تجمع بين الراثي والمرثي، فكلما دنت القرابة بين الشاعر والمرثي ازداد الرثاء حسرة وتفجعا[2].

ومن هنا عدت المراثي الجاهلية من أجود أشعار العرب ،وقد وضح ذلك أحد الأعراب الجاهليين حين سئل: ما بال المراثي أجود أشعاركم؟ فقال: لأنا نقول وأكبادنا تحترق[3].

والمتفحص والمتأمل في شعر الرثاء قديما يجده يدور في محاور ثلاثة رئيسة:

أولها: بكاء ونواح وعويل على الميت، ويعرف هذا الضرب في شعر الرثاء بالندب أو التفجع.

ثانيها: يتخذ شكل الثناء على الميت بذكر فضائله وتعداد محامده ،ويعرف هذا الضرب في شعر الرثاء بالتأبين.

ثالثها: التفكر في رحلة الحياة ومصير الناس وحتمية الأقدار ونزول البلاء وضعف الإنسان أمام نوازل الدهر ومصائب الزمان، ويعرف هذا الضرب في شعر الرثاء بالتعزية.

---

[1] شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص201

[2] بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ،د.م.ط ،الجزء1،د.ت، ص61

[3] الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص32، والنويري، نهاية الإرب، ج5، ص165

وعموما فإن قصائد المراثي النبوية بشعرائها نحت نفس منحى هذه المحاور، لتخلص لنا أنماطا رثائية نبوية مشابهة للجاهلية مع بعض الخصوصية.

**1-خطاب التفجع**: هو خطاب للتعبير عن المشاعر في لوعة وتفجع، فابن منظور يقول عن الندب: "الندب هو ندب الميت بعد موته غير أنه يفيد البكاء وهو من الندب للجراح، لأنه احترق ولذع[1]" ،والندب هو بكاء الميت وعد صفاته الحميدة.

أما والمرثي هو نبينا محمد (ص) ،فإن هذا النمط من الرثاء لم يكن سبيلا لرثائه (ص) من طرف صحابته رضوان الله عليهم أجمعين، كونهم يلتزمون بما شرعه الدين الحنيف في هذا الشأن ،والقصد هو البكاء والنواح والجراح، وهو ما أقره صاحب المؤلف حينما قال في مقدمته: "وقصدت بالمرثية في هذا الكتاب كل شعر قيل حزنا لوفاة الرسول (ص) غير ملتزم بما ذهب إليه بعض الباحثين من تقسيم المراثي بين ندب (تفجع) وتأبين وعزاء، فإنها قسمة موضوعية مختلفة عما ترمي هذه الدراسة إليه[2]".

**2-خطاب التأبين**: وهذا خطاب شعري ثان من أنماط الرثاء، كان يعني الثناء على الشخص حيا أو ميتا ثم اقتصر استخدامه على الموتى فقط، ويقول فيه الزمخشري: "...ابنه: مدحه وعد محاسنه، تقول: لم يزل يقرظ أحياكم ويؤبن موتاكم[3]".

فالقرظ(المدح) للأحياء والتأبين للموتى.

وهناك صلة بين التأبين والمدح، بل ليس بين الرثاء والمدح فرق .يقول ابن رشيق القيرواني: " إلا أنه يخلط بالرثاء شيء يدل على أن المقصود به ميت مثل: كان .عدمنا به .كيت وكيت ، وما يشاكل هذا ليعلم أنه ميت، وسبيل الرثاء أن يكون ظاهره التفجع بين الحسرة مخلوطا بالتلهف والأسف والاستعظام ،إن كان الميت ملكا أو رئيسا كبيرا[4]" .

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار الكتب العلمية لبنان ،بيروت، د.ط ،سنة 1986، ص230

[2] محمد شمس عقاب،المراثي النبوية في أشعار الصحابة،ص9

[3] الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق عبد الرحيم محمود، دار المعرفة ،لبنان، د.ط ،د.ت،ص10

[4] ابن رشيق القيرواني، العمدة، ج2، ص147

فالتداخل حاصل بين الرثاء والمدح ،إلا أن الأول يعرف بألفاظ الماضي ،والثاني بألفاظ الحاضر.

**3-خطاب التعزية**: وهو ثالث الخطابات الشعرية من حيث أنماط الرثاء، وهو كما عرفه المبرد: "وتعزيتك الرجل تسليتك إياه، والعزاء هو السلو وحسن الصبر على المصائب، وخير من مصيبة العوض منها والرضى بقضاء الله وقدره والتسليم لأمره، تنجز لما وعد من حسن الثواب[1]".

وهو - أي العزاء- مرتب عقب مرتبة التأبين، وهو قريب من الرثاء وإن كان مذهبه تهوين المصائب وبث السلوى والحث على الصبر والتأسي بالسلف الهالك.

الرثاء ليس مجرد إظهار للحزن والتفجع ،وإنما هو تشكيل فني متميز لإنسان قد مات يستحق الحزن عليه لماله من مآثر ولماله من القيم خلال الحياة مليئة بالفعل.

ويرى الدكتور وهب أحمد رومية :"أن الشاعر الجاهلي حين رثائه لغيره كان في الوقت نفسه يرثي الحياة الإنسانية نفسها[2]".

وأحيانا نجد المراثي في الشعر الجاهلي ضمن القصائد الطويلة التي تتعدد فيها الموضوعات، وتنتهي في آخرها بذكر موضوعها الأساسي وهو الرثاء، وأحيانا نجد المراثي في مقطوعات شعرية ليس لها موضوع آخر غير الرثاء[3].

**المبحث الثاني: شعراء المراثي النبوية وصور أنماط الرثاء النبوي**

إن أعظم مصيبة أصابت المسلمين قاطبة هي مصيبة فقد الرسول (ص)، وإن أعلم الناس بهول المصيبة -أي مصيبة -هم أولئك القوم الذين نزلت بهم فنالت منهم، وكان الصحابة أول من ابتلي بموت الرسول (ص) ،وأول من رثاه[4].

---

[1] المبرد، التعازي والمراثي، ص8

[2] وهب أحمد رومية، شعرنا القديم والنقد الجديد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت ،العدد 207، مارس 1996، ص271

[3] علي خليفة، الأدب في العصر الجاهلي، دار الوفاء، الإسكندرية، د.ط ،د.ت،ص105 - 106

[4] ، محمد شمس عقاب،المراثي النبوية في أشعار الصحابة،ص5

قال أنس بن مالك: "لما كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله (ص) للمدينة، أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه، أظلم منها كل شيء، وما نفضنا عن رسول الله (ص) الأيدي حتى أنكرنا قلو بنا[1]".

وعلى ضوء هذا التقديم يتضح جليا أن شعر المراثي النبوية استفرد به بداية بعد سماع وقع المصيبة -مصيبة موت النبي (ص)- الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، فقالوا حينها شعرا يرثونه فيه (ص) في شكل أبيات أو مقطوعات أو نتف أو قصائد تامة، وهو ما سنأخذه بالدراسة الموضوعاتية، مع إبراز الصورة النبوية ضمن كل نمط.

**1-شعراء صورة التفجع:**

*شملت الصورة التفجعية للنبي(ص)شعراء عدة،وهم:*

**1-1- أبوبكر الصديق(ض):**

هو أبو بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر التيمي القرشي، وهو أول الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وهو وزير الرسول (ص) وصاحبه ورفيقه عند هجرته إلى المدينة المنورة.

ورد في الكتب مراث نبوية أربع منسوبة لأبي بكر، ثلاثة معا، ورابعة وحدها ،الثلاثة اللواتي معا مطلع احداهن :

باتت تأوّبني هموم حشّد  مثل الصّخور فأمست هدّت الجسدا[2]

سبعة أبيات، ومطلع الثّانية:

يا عين فابكي ولا تسأمي  وحقّ البكاء على السّيّد[3]

ستّة أبيات، ومطلع الثّالثة:

---

[1] أحمد بن حنبل الشيباني، المسند ،ج 21 ،ص 330،تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت ،ط2، سنة 1420هـ

[2]محمد شمس عقاب،المراثي النبوية في أشعار الصحابة ،مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع،القاهرة،ط1، 2013 ،ص48

[3] المصدر السابق، ص48

لمّا رأيت نبيّنا منجدّلا ضاقت عليّ بعرضهنّ الدّور[1]

خمسة أبيات، والمرثيّة الرّابعة المنسوبة للصّديق أوّلها:

أجدّك ما لعينك لا تنام كأنّ جفونها فيها كلام[2]

**1-2- كعب بن مالك (ض):**

هو كعب بن مالك الأنصاري السلمي، شاعر الإسلام، أسلم قديما وشهد العقبة ولم يشهد بدرا، كان كعب بن مالك الأنصاري ثالث ثلاثة من الشعراء المقربين من الرسول (ص)، وكان أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك فعفا الله عنهم وتاب عليهم، وتلك منقبة من مناقبه، مات كعب (ض) في خلافة علي بن أبي طالب بعد أن كف بصره[3]، وقيل سنة خمسين[4]،وقد أنشد كعب في رثاء النبي (ص):

ياعيني فابكي بدمع ذرى لخير البريّة والمصطفى[5]

**1-3-علي بن أبي طالب(ض):**

هو أبو الحسن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي ابن عم الرسول محمد (ص) وصهره من آل بيته، وأحد أصحابه، وهو رابع الخلفاء الراشدين عند السنة، وأحد العشر المبشرين بالجنة، وأول الأئمة عند الشيعة .ولد في مكة، وتشير بعض مصادر التاريخ بأن ولادته كانت في جوف الكعبة، وأمه فاطمة بنت أسد الهاشمية.

إحدى مراثيه مطلعها: أمن بعد تكفين النّبيّ ودفنه بأثوابه آسى على ميّت ثوى ؟[6]

والأخرى: ما فاض دمعي عند نائية إلاّ جعلتك للبكا سببا[7]

---

[1] المصدر السابق،ص48

[2] المصدر السابق،ص55

[3] محمد بن عمرانين موسى ،معجم الشعراءللمرزباني،ص229 (تحقيق عبد الستار أحمد فراج، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،سلسلة الدخائر93)

[4] حاجي خليفة ،كشف الظنون،ج1،ص808

[5] ابن سعد ،الطبقات الكبير،ج2،ص282

[6] مخطوطة أنوار العقول، المكتبة البريطانية،ورقة4

[7] المخطوطة نفسها،ورقة6

### 1-4-عمر بن الخطّاب(ض):

هو أبو حفص عمر بن الخطاب العدوي القرشي الملقب بالفاروق، وهو ثاني الخلفاء الراشدين، ومن كبار أصحاب الرسول محمد (ص) ،وأحد أشهر الأشخاص والقادة في التاريخ الإسلامي، ومن أكثرهم تأثيرا ونفوذا، وهو أحد العشر المبشرين بالجنة ومن علماء الصحابة وزهادهم.

وعرف عمر بن الخطاب (ض) بذائقة نقدية رفيعة، فقد كان رجلا مبكرا للشعر ينشده، ويستنشده، ويحض الناس على أن يعلموه لأبنائهم[1] ، وهذه قصيدتان لعمر بن الخطاب في رثاء النبي (ص)، القصيدة الأولى مستهلة بهذا البيت:

ما زلت مذ وضع الفراش لجنبه  وثوى ،مريضا خائفا أتوقع[2]

### 1-5-عمر بن العاص(ض):

هو أبو عبد الله عمر بن العاص بن وائل السهمي القرشي الكناني، صحابي وقائد عسكري مسلم، وأحد القادة الأربعة في الفتح الإسلامي للشام، وقائد الفتح الإسلامي لمصر، وأول وال على مصر بعد فتحها.

كان عمر بن العاص (ض) أحد شعراء قريش، ولم يكن في قريش قبل الإسلام شعر كثير، وكان عمر قبل إسلامه يؤذي رسول الله (ص) بشعره، فعن محمد بن سيرين قال:" كان يهجو الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاثة رهط من قريش: عبد الله بن الزعبري وأبو سفيان بن الحارث ،وعمرو بن العاص[3]" .

---

[1] السباعي السباعي بيومي ،تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي ، مكتبة الأنجلو، القاهرة ،د.ط ، 1952،ج2،ص329...335

[2] محمد شمس عقاب،المراثي النبوية في أشعار الصحابة،ص153

[3] أبو الفرج الأصفهاني ،الأغاني، ج4، ص134

ولعمرو في الإسلام أشعار كثيرة قالها في الحوادث التي ألمت به أو ألم بها، وله رجز، واقرأ في كتاب مثل كتاب "وقعة صفين" تجده زاخرا بشعر لعمرو بعضه من بعض[1] ، وهذا ابن عبد البر يقول: "وكان عمر و بن العاص... شاعرا حسن الشعر، حفظ عنه الكثير من مشاهد شتى[2]".

ولكن الذي عليه النقاد أن عمرا ليس من الفحول وهم على أنه ليس من المسفين كذلك[3] ،وكان عمرو استعمله النبي (ص) على عمان، فلم يزل حتى أتاه الناعي بنبأ الوفاة فأمضى قلبه وأشجاه، وانفلت يبكي رسول الله (ص)، فروى له الرواة مراث ثلاث:

احداها قوله:

صدع القلوب مقالة الحدّاني ونعى النّبيّ خميصة بن أبّان[4]

**1-6-ابن ذ ي أصبح الحميري:**

اسمه أبرهة بن شرحبيل ابن أبرهة بن الصباح بن ذي أصبح الحميري ،ذكره الرشاطي في "الأنساب" ،وقال إنه وفد على النبي (ص) ففرش له رداء، وأنه كان بالشام وكان يعد من الحكماء، حكاه الهمداني في "النسب" قال: "وكان يروي عن النبي (ص) أحاديث[5] "،وثلاثة أبيات تلك كل ما وقفت عليه من مرثيته (ض)[6]، حين قال:

صدع القلوب أهود إذ نعى لي محمّدا[7]

**1-7-سواد بن قارب**

هو سواد بن قارب الدوسي الأزدي، وقيل السدوسي، صحابي كان يتكهن في الجاهلية، وكان شاعرا[8]. ومرثيته في النبي (ص)، جاءت في خبر طريف عند الكلاعي، وأرجح أن

---

[1] نصر بن مزاحم المنقري التميمي ،وقعة صفين، ص39...55

[2] ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ،ج3، ص1188

[3] عباس محمود العقاد، عمر بن العاص (نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة)، د.ط ،د.ت،ص184

[4] محمد شمس عقاب ،المراثي النبوية في أشعار الصحابة،ص156

[5] ابن حجر، الإصابة،ج1،ص21

[6] محمد شمس عقاب،المراثي النبوية في أشعار الصحابة،ص203

[7] امتاع الإسماع،مخطوطة،ورقة1829

[8] أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصفهاني ،ترجمة في معرفة الصحابة ،د.م.ط ،د.ط ،د.ت ، ص1404

يكون رواه عن وثيمة، فهو قد قال في جملة نقله من كتاب وثيمة، وقال سواء بن قارب... من خبره يبكي النبي (ص) لما بلغت أسد السراة وفاته، وبعد أن أقام فيهم مقاما محمودا يثبتهم في الدين، ويحذرهم سوء عاقبة الارتداد، وكان قد سادهم وشرف فيهم، فأجابوه إلى ما أراد، وقبلوا رأيه .

وقال: جلّت مصيبتك الغداة سواد وأرى المصيبة بعدها تزداد[1]

المرثية.

**1-8-شدّاد بن مالك بن ضمعج:**

الذي ذكره باسمه هذا هو ابن حبيب وحده في المحبر في جملة خبر البغايا اللواتي شمتن بوفاة النبي (ص) ،فقد قال بعد أبيات امرؤ القيس بن عابس السالفة:

"وكتب رجل من تنعة كان شريفا يقال له: شداد بن مالك بن ضمعج إلى أبي بكر رحمه الله".

أبلغ أبا بكر إذا ما جئته إنّ البغايا رمن كلّ مرام[2]

**1-9-عمرو بن الفحيل الزّبيدي:**

صحابي من المهاجرين، أضناه فقد النبي (ص) فرثاه بمرثية خاشعة متهدجة مطلعها:

أسعديني بدمعك الرّقراق لفراق النّبيّ يوم الفراق[3]

ورواها وثيمة أيضا عن محمد بن اسحاق ،ذكر ذلك المقريزي.

**1-10-مرّان بن عمير ذي مرّان:**

[1] المصدر نفسه،ص211

[2] ابن حبيب، المحبر، ص184

[3] المصدر السابق،ص217

وهو مران بن عمير ذي مران الهمداني، القيل بن القيل، كاتب الرسول (ص) والده[1]، وقام هو في قومه في الردة يثبتهم على الإسلام راثيا محمدا (ص) ، فاتبعوه وأطاعوا أمره[2]، حيث قال مران في رسول الله (ص) يرثيه ويؤيد أبا بكر في أيام الردة:

إنّ حزني على الرّسول طويل ذاك منّي على الرّسول قليل... فذكر القصيدة[3].

**1-11-أبو ذؤيب الهدلي:**

الشاعر العظيم، قيل: اسمه خويلد بن خالد بن محرث، وقال ابن سلام :"وكان أبو ذؤيب شاعرا فحلا لا غميزة فيه ولا وهن"، وكان يراه أشعر هديل[4] ،وهو صاحب إحدى أشهر مرثيات العرب التي مطلعها:

أمن المنون وريبها تتوجّع والدّهر ليس بمعتب من يجزع[5]

قالها ليرثي بها أبناءه.

لقد روي لأبي ذؤيب بيتان في رثاء النبي (ص) وقصيدة من سبعة أبيات، حيث أن أبا ذؤيب حدّث قال: " بلغنا أن رسول الله (ص) عليل، فاستشعرت حزنا، وبت بأطول ليلة لا ينجاب ديجورها، ولا يطلع نورها، فظللت أقاسي طولها حتى إذا كان قرب السحر أغفيت، فهتف بي هاتف وهو يقول:

خطب أجلّ أناخ بالإسلام بين النّخيل ومعقد الأطام

[1] محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ،د.م.ط ،د.ط ،د.ت ، ص231

[2] ابن سيد الناس، منح المدح، ص159-160

[3] الحسن بن أحمد الهمداني، الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير، ج10، ص 48(تحقيق محمد الدين الخطيب، الدار اليمنية، ط1، 1407هـ)

[4] ابن سلام الجمحي ،طبقات فحول الشعراء، ج1، ص131

[5] محمد شمس عقاب،المراثي النبوية في أشعار الصحابة،ص249

قبض النّبيّ محمّد فعيوننا تذري الدّموع عليه بالتّسجام[1]

ثم قال: وقدمت المدينة ولها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجاج إذا أحلوا بالإحرام فقلت: مه؟ قالوا: قبض رسول الله (ص) ، وفي الخبر أنه قال يرثي رسول الله (ص):

لمّا رأيت النّاس في عسلانهم ما بين ملحود له ومضرّج[2]

**1-12-أبو سفيان بن الحارث:**

وهو أخو رسول الله (ص) من الرضاعة ،أرضعتهما حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية، قيل: اسمه المغيرة، وقيل بل اسمه كنيته والمغيرة أخوه.

وهو شاعر قريش في الجاهلية[3] ،إذ كان يهاجي حسان بن ثابت قبل إسلامه، وينافح عن المشركين، ثم أسلم يوم الفتح قبل دخول الرسول (ص) مكة، فحسن إسلامه، يروى أنه ما رفع رأسه إلى نبي الله (ص) حياء منه، واعتذر إليه مما كان منه، ثم شهد حنينا فأبلى فيها بلاء حسنا، وكان ممن ثبت يومئذ ولم يفر، ولم تفارق يده لجام بغلة رسول الله (ص) حتى انصرف الناس إليه، وكان رسول الله(ص) يحبه ويشهد له بالجنة فقال:" أبو سفيان بن الحارث من شباب أهل الجنة، أو سيد فتيان أهل الجنة" ، وكان يقول:" أرجو أن تكون خلفا من حمزة " ،مات سنة عشرين بالمدينة وقيل :خمسة عشر.

تلك أمارات حب وقربى ومودة بين الرسول وابن عمه، وله قصيدة لامية أنشدها البكاء على النبي (ص) لما مات:

أرقت فبات ليلي لا يزول وليل أخي المصيبة فيه طول

وأسعدني البكاء وذاك فيما أصيب المسلمون به قليل

[1] المصدر نفسه،ص250

[2] المصدر نفسه،ص250

[3] المرزباني، معجم الشعراء، ص271

فقد عظمت مصيبتنا وجلّت عشيّة قيل: قد قبض الرّسول[1]

**1-13-سالم الغطفاني:**

لسالم مرثية بائية يبدؤها بقوله: أفاطم بكّي ولا تسأمي لصحبك ما طلع الكوكب [2]

ومرثيته النبوية هذه افتر بها ثغر بدوي أذهلته مصيبة أن مات رسول الله (ص) وهو شاعر مجيد- سالم بن دارة الغطفاني - مخضرم عاش زمن النبي (ص) ،ومن بني عبد الله الغطفانيين، قال أبو الفرج الأصفهاني:" فأما سالم فمخضرم قد أدرك الجاهلية والإسلام...[3]."

**1-14-عبد الله بن أنس:**

جهني أنصاري ثم حليفهم، شهد العقبة وبدرا، وبعثه رسول الله (ص) ليقتل ابن نبيح الهذلي ،فلما قتله أعطاه الرسول عصا تكون آية بينهما يوم القيامة، فقرنها بسيفه، فلم تزل معه حتى مات[4]، مات رضي الله عنه سنة أربع وخمسين.

عبد الله شاعر حادق على يسير ما نعرف من شعره، وما مرثيته في النبي (ص) إلا تعبيرا عن صدق عاطفة إذ يقول في مطلعها:

نفى النّوم ما لا تبتغيه الأصابع وخطب جليل للبليّة جامع

غداة نعى النّاعي إلينا محمّدا وتلك الّتي تستكّ منها المسامع[5]

**1-15-عمرو بن سالم الخزاعي:**

حجازي من خزاعة، كان أحد من يحمل ألوية خزاعة يوم فتح مكة، وهو صاحب الصريخ المعروف يوم نقضت بنو بكر وقريش العهد الذي كان بينهم وبين الرسول، فقتلوا رجلا

[1] محمد شمس عقاب ،المراثي النبوية في أشعار الصحابة،ص253
[2] المصدر نفسه،ص258
[3] أبو الفرج الأصفهاني،الأغاني،ج21، ص230
[4] ابن هشام ،السيرة النبوية،ج4 ،ص620
[5]محمد شمس عقاب،المراثي النبوية في أشعار الصحابة،ص264

من خزاعة من بني كعب حلفاء النبي، فخرج عمرو بن سالم حتى قدم على رسول الله (ص) المدينة، فوقف عليه وهو جالس في المسجد بين ظهراني الناس فقال:

لاهمّ إنّي أناشد محمّدا  حلف أبينا وأبيه الأتلدا[1].....القصيدة .

وعند قراءتك للمرثية ألفيت روح عمر كما ألفيتها في الصريخ[2] وثابة فائرة ،وأحسست فيها تلهف الراثي وحسرته وألمه لفقدان الرجل الذي نجدهم ووفى لهم، وها هو إذا يصف يوم وفاته مثلما رآه بعينه فقال:

فلم أر يوما كان أعظم حادثا  ولم أر يوما كان أكثر موجعا

ولم أر من يوم أعمّ مصيبة  ولا ليلة كانت أمرّ وأفظعا![3]

**1-16-أبو الهيثم بن التّيهان:**

هو مالك بن التيهان بن مالك بن عتيك الأنصاري، شهد بيعة العقبة، وكان أول من بايع وشهد بدرا والمشاهد كلها ،وهو نقيب الأنصار وخطيبهم ،توفي في خلافة عمر سنة عشرين، ومرثيته النبوية مروية منذ القديم، نشأها يقول:

ألا قد أرى أنّ الفتى لم يخلد  وأنّ المنايا للرّجال بمرصد

لقد جدعت آذاننا وأنوفنا  غداة فجعنا بالنّبيّ محمّد[4]

**1-17-أمّ أيمن:**

هي مولاة النبي (ص) وحاضنته ،وهي أم أسامة بن زيد اسمها بركة بنت ثعلبة بن عمرو بن حسن بن مالك، ويروى عنها أنها بعدما توفي النبي (ص) بكيت فقيل لها، فقالت:" إنما أبكي الوحي الذي انقطع عنا من السماء "، ماتت (ض) في خلافة عثمان، ومن مرثيتها قولها:

---

[1] المصدر نفسه،ص267

[2] المصدر نفسه ،ص 268

[3] المصدرنفسه،ص268

[4] الواقدي الردة، ص28...30

عين جودي فإنّ بذلك للدّمـ ع شفاء فأكثري ملبكاء[1]

سبعة أبيات

**1-18-أمّ رعلة:**

هي أم رعلة القرشية ، وفدت يوما على النبي (ص)، وكانت امرأة ذات لسان وفصاحة، فقالت: السلام عليك يا رسول الله....، ثم غابت حياة رسول الله (ص)، ثم أقبلت أيام الردة فذكر لها قصة في الحزن على النبي (ص) ،وتطوافها بالحسن والحسين أزقة المدينة تبكي عليه.وذكر لها بيتا واحدا في رثاء النبي (ص) هو قولها:

يا دار فاطمة المعمور ساحتها هيّجت لي حزنا، حيّيت من دار[2]

**1-19-فاطمة الزهراء(ض):**

بنت رسول الله (ص)، كان يحبها ويدنيها، وقال لها: " ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة، أو نساء العالمين؟" . ماتت بعد النبي (ص) بيسير، قيل: بستة أشهر[3].

لم تقل فاطمة الشعر بعينه، بل قالت ما هو قريب منه عند وفاة النبي (ص)، فعن أنس (ض) قال: "لما ثقل النبي (ص) جعل يتغشاه، فقالت فاطمة: "واكرب أبتاه" ،فقال لها:" ليس على أبيك كرب بعد اليوم" فلما مات، قالت:" يا أبتاه أجاب ربا دعاه، يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه، إلى جبريل ننعاه" ،فلما دفن قالت:" يا أنس ،أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله (ص) التراب؟[4]".

هذا وتنسب لها بضع مراث نبوية، منها التي تقول:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب[5]

---

[1] المصدر نفسه،ص345

[2] ابن حجر، الإصابة،ج8،ص204

[3] ابن عبد البر،الإستعاب،ج3،ص1893

[4] البخاري، صحيحه، ج2، ص892

[5] ابن قتيبة، غريب الحديث، ج2، ص267

وينقلون أن فاطمة الزهراء رثت والدها (ص) فقالت:

اغبرّ آفاق السّماء وكوّرت  شمس النّهار وأظلم العصران[1]

ستة أبيات.

لما توفي النبي (ص) ورجع المهاجرون والأنصار إلى رحالهم، رجع فيمن رجع فاطمة إلى بيتها فقعدت فيه، فلما كان بعد أيام قالت: "إنّا لله وإنّا إليه راجعون، انقطعت عنا أخبار السماء ،ثم أنشأت البيت السالف الذكر".

**1-20-هند بنت أثاثة:**

أخت مسطح بن أثاثة بن عباد بن عبد المطلب بن عبد مناف، شهدت أحدا مع الرسول (ص)، توفيت نحو عشرة هجرية، ينسب إليها مرثيتين نبويتين، إحداهما:

ألا يا عين بكّي لا تملّي  فقد بكر النّعي بمن هويت[2]

**1-21-هند بنت الحارث بن عبد المطلّب:**

هي هند بنت ربيعة بنت الحارث بن عبد المطلب بن هاشم ، ولدت على عهد رسول الله (ص) ،بنت عم الرسول (ص)، ذكر ابن سعد أنها استهلت مرثيتها في النبي (ص) بقولها:

يا عين جودي بدمع منك وابتدري  كما تنزّل ماء الغيت فانثعبا[3]

خمسة أبيات.

**2-شعراء صورة التأبين:**

شملت الصورة التأبينية للنبي(ص)مجموعة من الشعراء مثل:

**2-1- حسان بن ثابت(ض):**

[1] محمد شمس عقاب، المراثي النبوية في أشعار الصحابة، ص360

[2] ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج7، ص206

[3] محمد شمس عقاب، المراثي النبوية في أشعار الصحابة، ص369

هو أبو الوليد حسّان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، شاعر عربيّ وصحابيّ من الأنصار ينتمي إلى قبيلة الخزرج من أهل المدينة، كما كان شاعرا معتبرا يفد على ملوك آل غسّان في الشّام قبل اسلامه، ثم أسلم وصار شاعر الرّسول (ص) بعد الهجرة، توفّي أثناء خلافة عليّ بن أبي طالب بين 35و 40 للهجرة.

وحسّان بن ثابت الأنصاري فحل من فحول الشّعراء[1] ، وكان من المعمّرين[2] ، عدّه بن سلاّم أشعر شعراء القرى العربيّة[3]، وقال أبو عبيدة :" أجمعت العرب على أنّ أشعر أهل المدن أهل يثرب ، ثم عبد القيس ، ثمّ ثقيف، وعلى أنّ أشعر أهل يثرب حسّان بن ثابت[4] ". وحسّان أجلّ من أن يدلّ عليه، حسبك منه صحبته لنبيّ الله محمّد (ص)، وأنّه مؤيّد بروح القدس، يقول ابن شرف:"

ولحسّان ديوان صنعه محمّد بن حبيب الرّاوية الكبير المتوفى سنة 245 هـ ،وقد نشر على أصوله نشرتين، احداهما قريب عهد من الأخرى، واحدة بتحقيق الدّكتور سيّد حنفي حسنين سنة 1974 م عن دار المعارف ، وأصلها رسالة دكتوراه نوقشت سنة 1961م [5] ،والثّانية بتحقيق الدّكتور وليد عرفات سنة 1971م ضمن منشورات جب التّذكارية[6] ،وعلى الثّانية أثنى المحقّق الدّكتور محمّد الطّناحي، فقال:" وهذه الطّبعة من الدّيوان محقّقة تحقيقا علميّا جيّدا ، وهي تفضل ما سبقها وما تلاها من طبعات[7]".

على أن رواية ابن حبيب لم تكن محيطة بشعر حسان أجمعه، فإن له أشعارا استدركها المحققان وألحقاها بالديوان، ويقع القسم الأكبر من المراثي النبوية المنسوبة إلى حسان في المستدرك على رواية ابن حبيب.

---

[1] الأصمعي، فحولة الشعراء،ص20 (شرح وتحقيق محمّد عبد المنعم الخفاجي، طه محمّد الزّيني، لمطبعة المنيريّة بالأزهر-القاهرة-)،د.ط،،د.ت

[2] الحافظ أبي زكر ياء ،جزء من عاش 120 سنة من الصّحابة ،د.م.ط،،د.ط،،د.ت، ص69

[3] محمّد بن سلاّم الجمحي، طبقات فحول الشّعراء، ج1، ص215

[4] أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج4، ص136

[5] حسن كامل الصيرفي، مقدّمة لنشرة الدّيوان ،الّتي حققّها الدّكتور سيّد حنفي حسنين، دار المعارف،القاهرة،د.ط، 1974،ص6

[6] ديوان حسّان بن ثابت (تحقيق الدّكتور وليد عرفات، دار صادر 1974 ، مصوّرة عن طبعة منشورات جب التذكارية، 1971)

[7] محمود محمد الطناحي ،مدخل إلى نشر التراث العربي، مكتبة الخانجي ،القاهرة، ط1، 1405هـ ،ص216

ثبت أن حسان بن ثابت رثى النبي (ص) بشعر صحيح ثابت لا غبار عليه، وإحدى هذه المراثي مرثية لها مطلع ذائع هو:

بطيبة رسم للرّسول ومعهد  منير، وقد تعفو الرّسوم وتهمد [1]

ستة وأربعون بيتا.

ومن المراثي المعزوة إلى حسان بن ثابت راثية مستهلها:

نبّ المساكين أنّ الخير فارقهم  مع الرّسول تولّى عنهم سحرا[2]

**2-2-امرؤ القيس بن عابس :**

هو امرؤ القيس بن عابس بن المنذر... الكندي، جاهلي وأدرك الإسلام، وفد على النبي (ص) ولم يرتد في أيام أبي بكر، وأقام على الإسلام في الردة، وكان سبب المرثية شماتة بعض النساء البغايا باليمن حين نعى لهم جهبل رسول الله (ص) فآذين امرؤ القيس بن عابس، وبعث في نفسه الغيرة والأسى، فما برح حتى كتب إلى أبي بكر يحثه ويستنصره راثيا رسول الله (ص):

شمت البغايا يوم أعلن جهبل  بنعي أحمد النّبيّ المهتدي[3]

ستة أبيات ،انفرد بروايتها جميعا ابن حبيب في المحبّر.[4]

**2-3-ذو الكلاع الحميري:**

يكنى أبا شرحبيل، ويقال: أبو شراحيل، ابن عم كعب الأحبار، كاتبه رسول الله (ص) على يد جرير بن عبد الله البجلي،فأسلم، وأعتق ، ثم قدم المدينة ومعه أربعة آلاف نفس، فسأله عمر في بيعهم، فأصبح وقد أعتقهم أيضا، روي عن عمر، وشهد وقعة اليرموك وفتح دمشق[5]، ومات على الراجح سنة ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين منقلبه من مريوط بالإسكندرية[6].

---

[1] محمد شمس عقاب،المراثي النبوية في أشعار الصحابة،ص84

[2] المصدرنفسه،ص107

[3] المصدرنفسه،ص205

[4] ابن حبيب ،المحبر، ص184

[5] ابن عساكر الدمشقي ،تاريخ مدينة دمشق،ج17،ص383...397

[6] محمد حسين الفرح ،يمانيون في موكب الرسول (ص)، ج1، ص442

ومرثيته في النبي (ص) التي أثرت لسميفع ذي الكلاع (ض) ،فشعره سهل على ما يبدو غير طويل.

وهذه المرثية معبرة تعبيرا صادقا عن الخطب الذي نزل بحمير بسبب الوفاة، وكيف أنهم كانوا يطمحون أن يمتعوا بطول صحابة النبي (ص)، ولكن أنى لهم ذلك، وقد حال الموت بينه وبينهم.

يقول ذو الكلاع:

قد أتى حمير أمر شامل  قاطع للظّهر مزر بالأمل

موت من كان بقاه رحمة  كلّ شيء ما خلا هذا جلل[1]

**2-4-عامر بن الطّفيل الأزديّ:**

هو عامر بن الطفيل بن الحارث الأزدي ترجمه ابن حجر في القسم الأول من الصحابة في الإصابة[2]، إذ كان وافد قومه و القائم فيهم في زمن الردة، يحرضهم على الإسلام، وله مرثية في النبي (ص):

بكت الأرض والسّماء على النّو  ر الّذي كان للعباد سراجا

من هدينا به إلى سبيل الحـ  قّ وكناّ لا نعرف المنهاجا [3]

**2-5-الزّبرقان بن بدر:**

تميمي من شعراء الصحابة المخضرمين، وفد في قومه على رسول الله (ص) سنة تسع، وكان أحد سادتهم، فولاه النبي (ص) صداقتهم، وأقره على ذلك أبو بكر وعمر[4] ،ومرثيته النبوية التي يستهلها بقوله: آليت لا آسى على هالك  بعد نبّي الله خير الأنام[5]

[1] محمد شمس عقاب،المراثي النبوية في أشعار الصحابة،ص209
[2] ابن حجر،الإصابة،ج1، ص3...5
[3] المصدر نفسه، ج3، ص584
[4]ابن سيد الناس، منح المدح،ص114
[5] المصدرنفسه،ص257

وهي سبعة أبيات فحسب، فهو لم يكن يطل بل كان شعره مقتضب كما أقر بذلك الأصمعي[1].

**2-6-لبيد بن ربيعة:**

هو أبو عقيل أحد رؤوس بني عامر وشاعرهم الكبير، وفد مع قومه على رسول الله (ص) قبل الفتح فأسلم وحسن إسلامه، مات سنة إحدى وأربعين، ولبيد في الشعر علم في رأسه نار، وله ديوان كبير، وقصيدته التي يرثي فيها النبي (ص) رأسها:

إنّ المنيّة رأس كلّ منيّة  شدّت على أعزّ نبيل[2]

وهي مرثية لامية من ثمانية عشر بيتا.

**2-7-أروى بنت عبد المطّلب(ض):**

هي بنت عبد المطلب بن هاشم، عمة رسول الله (ص)، وإحدى بنات عبد المطلب الست، لأروى مرثيتان، إحداهما:

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا  وكنت بنا برّاو لم تك جافيا[3]

والثانية: ألا يا عين ويحك أسعديني  بدمعك ما بقيت، وطاوعيني[4]

ستة أبيات.

**2-8-عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل:**

القرشية العدوية، كانت من المهاجرات، تزوجها نفر من سادة الصحابة، وكانت شاعرة ،ولها ثلاث مراث سوى مرثيتها في النبي (ص)، فعاتكة تصور في رثائها الكآبة والحزن لفقد الفقيد، ثم تعرج إلى تعداد مآثره وحسناته ،وقد تذكر أن لا صفاء في الحياة بعده، وإليك المثال على ذلك:

---

[1] الأصمعي ،فحولة الشعراء ،ص27

[2] ابن سيد الناس، منح المدح، ص280-281

[3] محمد شمس عقاب،المراثي النبوية في أشعار الصحابة،ص341

[4] المصدر نفسه،ص341

افتتحت عاتكة بنت زيد رثاءها للنبي (ص) بذكر ما حل بالأشياء والأحياء من الوجوم والصدمة والأسى ،فقالت في مطلعها:

أمست مواكبه أوحشت وقد كان يركبها زينها[1]

**3-شعراء صورة التعزية:**

شملت صورة التعزية للنبي(ص)عديد الشعراء وهم:

**3-1-عبد الحارث بن أنس بن الدّيّان:**

صحابّي حارثي نجراني، وفد على رسول الله (ص) سنة اثنتين على الأرجح[2]، اختلفوا في اسمه فقيل: عبد الحارث، وقيل: عبد الرحمن، فقد ترجمه ابن حجر في صحابة القسم الأول وسماه: عبد الحارث[3] ،وقصيدته المرثية ذات الأربعة عشر بيتا التي مطلعها:

لعمري لئن كان النّبيّ محمّد عليه سلام الله أودى به القدر[4]

**3-2-عبد الله بن سلمة الهمداني:**

ليست قصيدة عبد الله بن سلمة عن صواحبها ببعيد ،فقد رواها وثيمة عن ابن اسحاق ،ذكر ذلك ابن سيد الناس، وذكر مقامه الحميد و خطبته البليغة التي أصاخت لها قريش بعد وفاة النبي (ص)، وهي من عيون خطب العرب، ثم قال: فأثنى عليه أبو بكر خيرا، وحمدته قريش، وكان سيدا فقال:

إنّ فقد النّبيّ صرّعنا اليوم فدته الأسماع والأبصار[5]

[1]محمد شمس عقاب،المراثي النبوية في أشعار الصحابة،ص350
[2] محمد حسين الفرح ،يمانيون في موكب الرسول(ص)، ج2 ، ص123
[3] المرجع نفسه ، ج4، ص279
[4]محمد شمس عقاب،المراثي النبوية في أشعار الصحابة،ص214
[5] المصدر نفسه،ص215

وفدته النّفوس ليس من الموت فرار، وأين أين الفرار[1]

وأنشد بقية القصيدة فأتمها اثني عشر بيتا.

**3-3-عبد الله بن مالك الأرحبيّ:**

صحابي سيد، ضمه ابن حجر إلى صحابة القسم الأول من كتابه، حين قال ابن اسحاق: "لما همت همدان بالردة قام فيهم عبد الله بن مالك الأرحبي، وكان من أصحاب النبي (ص) له هجرة وفضل في دينه... ،وذكر له خطبة طويلة يقول فيها:

لعمري لئن مات النّبيّ محمّد لما مات يا ابن القيل ربّ محمّد[2]

**3-4-محقبة / مجفنة /عقبة بن النّعمان العتكيّ:**

اختلف في اسمه ،ولعل تصحيف النساخ هو السبب، وهذا الصحابي عرف به ابن حجر فقال: " عقبة بن النعمان العتكي، أبو النعمان من أهل عمان"، ذكره وثيمة في الردة، و أنه ثبت على اسلامه، وشيع عمرو بن العاص في جماعة من قومه حتى قدموا على أبي بكر فشكر لهم أبو بكر ذلك وهو القائل:

وفينا وفينا يفيض الوفاء وفينا يفرخ أفراخه... وذكر شعرا[3].

كان الشاعر بن النعمان العتكي و مرثيته في النبي (ص) تشبه ما نعرفه من شعره كتكراره لفظة :فينا في مقام الفخر، ففي المرثية قال:

[1] المصدر السابق،ص215

[2] المرجع السابق،ج4، ص225

[3] ابن حجر،الإصابة،ج5، ص131-132

يا عمرو إنّ حياته كوفاته فينا، أتبصر ما نقول وتسمع[1]؟

**3-5-مسروق بن ذي الحارث الهمداني:**

ذكر الصحابي عن وثيمة في كتاب الرّدة، ثم أنشد قوله يخاطب أبا بكر إثر خطبته البليغة:

كلّ أمر وإن تعاظمني صبـ ـر عليه سوى النّبيّ دقيق

أيّها القائم المعصب بالأمـ ـر لأنت المصدّق الصّديق[2]

ثلاثة أبيات ، وهذه القصيدة من فاخر شعر رثاء النبي (ص) و أرقه، و أصوبه.

**3-6-ابن ذي المشعار:**

وقد جاء اسمه في مخطوطة "امتاع الأسماع" فكتب "المعان" ، والمعان شاعر إسلامي من اليمن اسمه المعان بن روق بن الدهر الهمداني[3] ،وهو تصحيف أثناء النسخ فهو المشعار وهو مالك أهل ناحيته، فخطب يوما فقال:

ألا كلّ أمر وإن جلت مصيبته بالغا ما بلغ

خفيف عليّ لمآ انطفت معاشر كانوا من أهل الوتغ[4]

**3-7-عديّ بن حاتم:**

[1]محمد شمس عقاب،المراثي النبوية في أشعارالصحابة،ص219

[2] محمد شمس عقاب،المراثي النبوية في أشعار الصحابة،ص221

[3]جلال الدين السيوطي، الإكليل، ج10، ص85(تحقيق ابن الخطيب ،د.م.ط ،د.ط ،د.ت)

[4] امتاع الأسماع ،مخطوطة، ورقة183

هو أبو طريف عدي بن حاتم طيء، كان يقول:" ما دخلت على النبي (ص) إلا وسع لي أو تحرك لي، وقد دخلت عليه يوما في بيته وقد امتلا من أصحابه فوسع لي حتى جلست إلى جنبه[1]"، تلك منزلته من النبي (ص)، فلما مات النبي وارتدت العرب، ثبت هو على الإسلام فلم يرتد، وقدم على أبي بكر بصدقات قومه، وكان عظيمهم فأعطوه، فأنقذهم الله به من الكفر والسيف[2] ، توفي رضي الله عنه سنة سبع وستين.

وقصيدته المرثية هاته مما قاله وهو قائم في قومه يطمّعهم وينذرهم ويصف أساه بفراق النبي (ص) ويعد فيها أن سيقوم مقاما يحمد له بعدما تراخى عن الإسلام لله سنينا، فكان إبعاد المرتدين في مقام رثاء النبي حق لازم من حقوق هذا الرثاء عنده إن ابتغي الصدق فيه، وكأن جهاد هؤلاء في دين عدي فرض أملاه الوفاء للرسول (ص) ،وذلك ما أساغ لنا أن نعد القصيدة بكل أبياتها رثاء وإن بدا أن بعض أبياتها في غير الرثاء.

حيث قال: ألا إنّ هذا الدّين أصبح أهله على مثل حدّ السّيف بعد محمّد[3]

عشر أبيات .

**3-8-صفيّة بنت عبد المطّلب (ض):**

هي صفية بنت عبد المطلب بن هاشم أم الزبير بين العوام، عمة الرسول (ص)، اتفقوا على إسلامها من بين عماته، توفيت في خلافة عمر سنة عشرين ولها من العمر ثلاث وسبعين سنة، ودفنت بالبقيع.

كانت صفية (ض) امرأة لبيبة حازمة، وكانت شاعرة، حيث روت الكتب مقطعة في رثاء النبي (ص) منها: قد كان بعدك أنباء وهنشة لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب[4]

وأيضا: ألا يا رسول الله كنت رجاءنا وكنت بنا برّا ولم تك جافيا[5]

[1]ابن عبد البر،الإستيعاب،ج3، ص1058
[2]ابن الأثير الجزري، أسد الغابة،ج4 ،ص9
[3] محمد شمس عقاب،المراثي النبوية في أشعار الصحابة،ص263
[4] الجاحظ ،البيان والتبيين، ج3، ص363
[5] محمد شمس عقاب،المراثي النبوية في أشعار الصحابة،ص303

عشرة أبيات.

ولصفية (ض) مرثية نبوية مطلعها قولها:

لهف نفسي وبتّ كالمسلوب أرقب اللّيل فعلة المحروب[1]

وأخرى: أرقت فبتّ ليلي كالسّليب لوجد في الجوانح ذي دبيب[2]

وتسمعها -رضي الله عنها -لا جازعة ولا مستنكرة قضاء الله تعالى في العباد: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [آل عمران: 185] و ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الرعد: 38] فأكدت هذا المعنى ورددته تثبيتا لفؤادها، وتذكرة لنفسها كي تتسلى وتتصبر، فتسمع إيما نها بقدر الله المسطور في اللوح معظم مراثيها.

[1] المصدر السابق، ص305

[2] محمد بن سعد البغدادي ،الطبقات الكبير،ج2، ص285

# الفصل الثاني

# تجليات صورة النبي (ص) الفنية عند شعراء الحجاز: المعنى والمبنى

## الفصل الثاني: تجليات صورة النبي (ص)الفنية عند شعراء الحجاز: المعنى والمبنى

### المبحث الأول: من ناحية المعنى:

#### 1-صورة النبي (ص) الخُلقيَّة:

اصطفى ربنا عز وجل رسوله محمد (ص) ليكون آخر الرسل للناس نذيرا وبشيرا لهم لما هو خير لهم في دينهم ودنياهم، فجاء هذا الاصطفاء متمما بصفات خُلقيَّة رفيعة معززة بمكارم أخلاق نبيلة في مجتمع جاهلي غير منعدم الأخلاق ،بل أخلاقه (ص) جاءت إضافة لخيِّرها.

ولعل من أبرز ما يعزز حسن خلقه (ص) ،هو تثمينه عليه الصلاة والسلام وصف أم زرع لزوجها أبا زرع ،حينما أثنت على حسن أخلاقه وتعامله معها في عشرتهما الزوجية ،حينما قال (ص) لزوجته عائشة: " كنت لك كأبي زرع لأم زرع [1]" ،وزيد في بعض الروايات: " إلا أن أبا زرع طلق، وأنا لا أطلق" وفي بعضها: " كنت لك كأبي زرع في الألفة والرفاء، لا في الفرقة والخلاء".

أما عن وصف أم زرع لزوجها أبا زرع ،فإنه جاء في معرض حديث لعائشة (ض) قالت: جلست إحدى عشرة امرأة فتعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئا: قالت الأولى: زوجي .....[2]

قالت الحادية عشرة: زوجي أبو زرع، وما أبو زرع ! أناس من حليّ أذني، وملأ من شحم عضديّ، وبجّحني فبجحت إليّ نفسي، ووجدني في أهل غنيمة بشق، فجعلني في أهل صهيل ،وأطيط، ،ودائس، ومنق، فعنده أقول فلا أقبّح، وأرقد فأتصبّح، وأشرب فأتقمّح.

أم أبي زرع وما أم أبي زرع! عكومها رداح، وبيتها فياح.

[1] محمد القزويني، درة الضرع لحديث أم زرع (تحقيق مشهور حسن ساعان)، دار بن حزم، بيروت، ط1، 1991،ص71
[2] حذف من طرف الباحث

ابن أبي زرع وما ابن أبي زرع! مضجعه كمسل شطبة، ويشبعه ذراع الجفرة.

بنت أبي زرع، وما بنت أبي زرع! طوع أبيها وطوع أمها، وملء كسائها، وغيظ جارتها. جارية أبي زرع، وما جارية أبو زرع! لا تبث حديثنا تبثيثا، ولا تنفّت ميرتنا تنقيثا ولا تملأ بيتنا تعشيشا.

قالت: خرج أبو زرع، والأوطاب تمخض، فلقي امرأة معها ولدان كالفهدين، يلعبان من تحت خصرها برمّانتين، فطلقني ونكحها، فنكحت بعده رجلا سريّا، ركب شريّا، وأخذ خطيا، وأراح عليّ نعما ثريّا، وأعطاني من كل رائحة زوجا، وقال: " كلي أم زرع وميري أهلك." قالت: فلو جمعت كل شيء أعطانيه، ما بلغ أصغر آنية أبي زرع[1].

هذا وإن كان وصف النسوة العشر الأولى من الحديث لأزواجهن تراوح بين المدح والذم لصفات أزواجهن في معرض وصف كل واحدة لزوجها، أين أبرزن خلق أزواجهن اتجاههن وحسن أو سوء معاشرة أزواجهن لهن، فإن وصف المرأة الحادية عشر لزوجها- أم زرع -كان حاسما في اختيار الرسول (ص) للوصف الذي أثنى عليه وتبناه اختيارا لحسن عشرته (ص) مع زوجته عائشة (ض).

لخص لنا حديث أم زرع خلقه (ص) مع أهله وحسن معاشرته لأمنا عائشة (ض) في حياتهما الزوجية، هذا و تعددت وتنوعت صفاته الخُلقيَّة (ص) مع أصحابه وغيرهم من العرب والعجم.

كان النبي (ص) أحسن الناس خُلُقا، فكان يلاعب الأطفال، ويتعامل معهم بلطف، وعرف كذلك بكرمه، وإنفاقه في سبيل الله، وعلى الفقراء والمحتاجين، وكان يؤثر الناس على نفسه، وإن لم يجد ما يأكله، وكان أكثر الناس شجاعة، ويعفو عن من أساء إليه، وكان يتعامل مع

[1] المرجع السابق، ص21

أصحابه بحب ويمازحهم، ويقبل دعوة من دعاه، ويزور المريض، ولم يكن يذم أو يعيب أحدا، وكان أكثر الناس سعيا للآخرة، زاهدا في الحياة الدنيا.[1]

وكان كذلك أكثر الناس علما بالله تعالى وأحسن الناس عشرة، لا ينتقم لنفسه ،شديد الحياء، يغضب لانتهاك حرمات الله، لا يفرق بين أحد، ولا يعترض على طعام، فيأكل مما تيسر دون تكلف، وكان يخدم أهله، شديد التواضع، يحب المساكين ويشاركهم في جنائزهم ولا يستحقر الفقير أبدا[2].

أماعن صورة النبي(ص) ومحاسن صفاته الخُلقيَّة في أشعار صحابته ،فإننا نوردها كما يلي:

جاء حسان بن ثابت في مراثيه فأورد صورة فنية في النبي(ص) معبرا عن بعض أخلاقه حين وصفه بالتواضع رفقة نبيين سبقوه وهما :الخليل إبراهيم ،وكليم الله موسى عليهما السلام ،فقال:

حتّى الخليل أبوه في أشياعه ونجيّه موسى النّبيّ المهتدي

متواضعين لربّهم بفعالهم تلك الفضيلة واجتماع السّؤدد[3]

ثم يستطرد حسان في أبيات أخرى لإبراز صورة أخرى للنبي محمد (ص) حين وصفه بالعفة والمدافع عن الحقيقة والكريم، ثم الكساب حين المكرمة والمطعام حين المسغبة فقال:

على رسول لنا محض مشاربه سمح الخليقة، عفّ، غير مجهال

حامي الحقيقة ، نسّال الوديقة ، فكّ كاك العناة، كريم، ماجد، عال

كسّاب مكرمة، مطعام مسغبة وهّاب عيديّة وجناء شملال

عفّ مكاسبه، جزل مواهبه خير البريّة، سمح، غير نكّال

واري الزّناد، وقوّاد الجياد إلى يوم الطّراد إذا شبّت بأجذال[4]

وينحو كعب بن مالك نحو حسان عندما ينشد و يشيد بكرمه (ص) في الناس جميعهم ،ليمدح نتاج أخلاقه في الناس مما خلفته من مجد وتقى بسبب رشده و إرشاده فقال:

---

[1] محمد بن العثيمين، مكارم الأخلاق ،د.م.ط ، ط1،د.ت، ص53...62

[2] سعد القحطاني، رحمة للعالمين، مطبعة سفير الرياض، الرياض ، د.ط ،د.ت ،ص33-34

[3] محمد شمس عقاب،المراثي النبوية في أشعارالصحابة،ص74

[4] المصدرنفسه،ص78

.....[1] .....

وأعظمه فقدا على كلّ مسلم وأكرمه في النّاس كلّهم يدا

لقد أورثت أخلاقه المجد والتّقى فلم تلقه إلاّ رشيدا ومرشدا[2]

وهذه صفية بنت عبد المطلب (ض)، عمة النبي (ص) ،وبعد أن تبكي النبي المطهر، تدعو لبكاء جميع المسلمين لفقد نبيهم، تذكر هم بصفاته وأخلاقه الحسنة وهو بين ظهرانيهم من رحمة ورؤف، وصدق قول، وإشفاق ، ونصح ، وحتىّ طيب الثوب ،عندما قالت:

عين من تند بين بعد نبيّ خصّه الله ربّنا بالكتاب

فاتح ، خاتم ، رحيم، رؤوف صادق القيل ، طيّب الأثواب

مشفق، ناصح ، شفيق علينا رحمة من إلهنا الوهّاب

رحمة الله والسّلام عليه وجزاه المليك حسن الثّواب[3]

وفي ثانية تصور أيضا كرمه اتجاه المعدمين عموما والجيران خصوصا ،وأنه آوى كل مضطهد غريب فأنشدت : كريم الخيم، أروع، مضرحيّ طويل الباع، منتجب، نديب

ثمال المعدمين وكلّ جار و مأوى كلّ مضطهد غريب

فإمّا تمس في جدث مقيما فقد ما عشت ذا كرم وطيب

وكنت موفّقا في كلّ أمر وفيما ناب من حدث الخطوب[4]

وفي ثالثة تبرز وتصف أخلاقه الحسنة أيضا ،وشيمه ،معرجّة على صدقه السّجيّ وعفّته المتناهية ،فتقول: طيّب العود والضّريبة والشّيم محض الأنساب، واري الزّناد

أبلج، صادق السّحيّة، عفّ صادق الوعد، منتهى الرّواد[5]

وفي رابعة ،تعود وتشيد بخلقه العالي وبحزمه وعزمه عند الوقت المناسب في ذلك ،ثم بحلمه وكرمه ، فصورته بكل ذلك عند ما رثته (ص)، فقالت:

خلقا عاليا ،ودينا كريما وصراطا تهدي به، مستويا

وسراجا يهدي الظّلام منيرا ونبيّا مسوّدا عربيّـــــا

---

[1] حذف من طرف الباحث

[2] محمد شمس عقاب،المراثي النبوية في أشعار الصحابة،ص118

[3] المصدرنفسه،ص286

[4] المصدر نفسه،ص288

[5] المصدر نفسه،ص290

حاز ما، عازما ، حليما ، كريما عائد ا بالنّوال ، برّا، تقيّا[1]

لتنحو عاتكة بنت عبد المطلب (ض) منحى أختها صفية ،حينما صورت النبي (ص) في صفاته الحسنة ،والتي من بينها صفتي العدل والخِيرِ (الكرم) فأنشدت:

بمستهلّ من الشّؤبوب ذي سيل فقد رزئت نبيّ العدل والخِيرِ

وكنت من حذر للموت مشفقة وللّذي خطّ في تلك المقادير

من فقد أز هر، ضافي الخلق ،ذي فخر صاف من العيب والعاهات والزّور[2]

**2-صورة النبي (ص) في الحياة:**

تعددت وتنوعت صورة النبي (ص) عند شعراء الحجاز وفي أشعارهم، لتتجلى من خلال صفاته الخُلقيَّة في حياته (ص)، فهو القدوة الحسنة والمثال الأسما عند كافة المسلمين عموما والصحابة خصوصا.

أبرز شعراء الحجاز مختلف حركات وسكنات الرسول(ص) ،وهو بينهم يؤثر فيهم ويدعوهم لما هو خير لهم في دينهم ودنياهم.

فجاءت لوحة المراثي من وراء هذه الصور في الحياة بعواطف شتى كانت تعتلج في صدور أولئك الملأ من الناس بعد وفاة النبي (ص)، ليعبروا عنها بمعان عدة أهمها:

*2-1-تصوير النبي محمد (ص) نورا*: اقتفاء لقوله تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ [المائدة: 15]وقوله: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأحزاب: 45] وممن صوره بذلك: عمر بن الطفيل الأزدي حينما قال:

بكت الأرض والسّماء على النّو ر الّذي كان للعباد سراجا[3]

أيضا صورته صفية بنت عبد المطلب بدرا ونورا، إذ قالت:

[1] المصدر نفسه،ص298

[2]المصدر السابق،ص333

[3] محمد شمس عقاب،المراثي النبوية في أشعار الصحابة،ص440

قد كنت بدرا ونورا يستضاء به  عليك تنزل من ذي العزّة الكتب [1]

وهو عند الزّبرقان بدر الظلام، حيث قال:

بعد الّذي كان لنا هاديا  من حيرة كانت، وبدر الظّلام[2]

أما عند حسان فهو نور يستضاء به، فقال:

من الّذي كان نورا يستضاء به  مبارك الأمر ذا حزم وإرشاد[3]

وصورة النّور من صور القرآن المكررة فيه، وهي تجيء فيه للثناء على الدين أو على الرسول، وكيف أنهما أخرجا الناس من الظلمات وأضاءا لهم الطريق[4].

*2-2-تصويره (ص) رحمة*: متأسين بقوله تعالى :﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: 159] ، فجعلوا منه رحمة للناس.

وممن صوره بذلك مران، فقال:

يا لها رحمة أصيب النآ  س تولّت، وحان منها الرّحيل [5]

وقالت صفية:  رحمة كان للبريّة طرّا  فهدى من أطاعه للسّداد[6]

*2-3-تصويره (ص) مغدقا:* متصفا بصفة الإغداق والإمراع والخصب، فهذا حسان يمثله بالنهر العذب، أين قال:

[1] المصدرنفسه،ص440
[2] المصدر نفسه،ص440
[3] المصدر نفسه،ص440
[4]المصدر نفسه، ص440
[5]المصدر نفسه،ص440
[6] المصدر نفسه،ص440

خير البريّة إنّي كنت في نهر  جار، فأصبحت مثل المفرد الصّادي[1]

*2-4-تصويره بالخير كله:* فهذا عمرو بن الفحيل الزبيدي يرثيه بخيّره الشامل للأمة، فيقول:

كان غيثا يجيء للبلد المح  لّ، وشمسا تضيئ للإشراق

ودليلا يدعو العباد إلى اللّ  ه وبحرا يصبّ عذب المذاق

وضياء البلاد، والقمر الزّا  هر وافى تمامه لاتّساق[2]

**3-صورة وقع المصيبة:**

لم تنعطف صورة نعي وفاة الرسول (ص) عند شعراء الحجاز ووقعها كمصيبة حلت بأصحابه عليهم رضوان الله عن سابقاتها تأثيرا في مراثيهم اتجاه هذا الخبر الصاعق، فتراوح التأثر بين التأثر الفردي والتأثر الجماعي ( القوم) والتأثر والتعبير عنه بصور من خلال مخلوقاته سبحانه وتعالى.

***3-1-التأثر الفردي:*** من شعراء الصحابة من شغل ببلوى نفسه فصور ما اعتراه من الهم والبؤس بصور مختلفة، فمن هؤلاء صفية عمة الرسول (ص) التي أحست كأن المكاوي أوقدت في فؤادها يوم مات محمد ا(ص) فأحرقته:

كأنّ على قلبي لذكر محمّد  وما خفت من بعد النّبيّ المكاويا[3]

وفي مرثية أخرى تصور سوء حالها، وما أصابها من السهر والبلوى والبلبال، حتى إنها شاب رأسها وهي بعد فتيّة، فتقول:

أرقت فبتّ ليلي كالسّليب  لوجد في الجوانح ذي دبيب

[1] المصدر نفسه،ص441

[2] المصدر السابق،ص441

[3] المصدر السابق،ص433

فشيّبني، وما شابت لذاتي فأمسى الرّأس منّي كالعسيب[1]

ويصعق الخبر يزيد بن ذي المشعار فيصمه ويمسك لسانه:

فسمعي -لعمرك - من بعده ثقيل، وفي بعض نطقي لثغ[2]

وجعلت المصيبة مسروقا يستهين بكل مصيبة ، وإن عظمت بعد مصيبته الكبرى بالرسول(ص)، فيمضي قائلا وقد غرق في دموعه:

قلت والدّمع كالجمان على النّحـ ـر وقد لاح في السّماء العيُّوق

كلّ أمر وإن تعاظمني الصّبـ ـر عليه بعد النّبيّ دقيق[3]

ثم يصور الشاعر حاله البئيسة وقد أطبقت عليه جوانحه ، واضطربت نفسه وعافت كل شيء:

قلت والنّفس للبلاء عزوف أين يهوي بكفّه المخنوق؟

لا إلى أين -إن سألت -سوى الـ . خنق، وإنّي بحتفه مخنوق[4]

أمّا عامر بن الطفيل فيرى أن الدهر قد شد قوسه عليه بوفاة الرسول (ص)، ورماه بسهم أصاب حبة قلبه:

وتّر الدّهر قوسه فرمى القلـ ـب فلم يخطه، فصرنا هماجا[5]

***<u>3-2-التأثر الجماعي (القوم/العشائر):</u>*** مضى جمع من شعراء المراثي يصورون ما نال العشائر

[1] المصدر السابق،ص433
[2] المصدر السابق،ص434
[3] المصدر السابق،ص434
[4] المصدر السابق،ص434
[5] المصدر السابق،ص435

من الضعف والإستخذاء، فيحكي مران بهذه الصورة عن همدان قومه:

جدعت قومي الأنوف، وأجرت دمع عين، فللجفون هموله[1]

ويحكي العتكي ما أحاط بالناس من الهوان والمسكنة:

فلقد أصبنا بالنّبيّ، وأنفنا والرّاقصات إلى البنيّة، أجدع

وقلوبنا قرحى، وماء عيوننا جار، وأعناق البريّة خضّع[2]

ورأى أبو سفيان الناس إثر المصيبة عميا يتخبّطون في الأرض، فقال:

كأنّ النّاس إذ فقدوه عمي أضرّ بلبّ حازمهم عليل

وحقّ لتلك مرزيّة علينا وحقّ لها تطير لها العقول

وأضحت أرضنا ممّا عراها تكاد بنا جوا نبها تميل[3]

وتصور صفية حال الناس بعد الرسول(ص) بالبيت الذي انقض وانهدم:

فقد هدّنا فقد الرّسول فأعولي بحزن طويل آخر الدّهر دائم[4]

ولم يكونوا وحدهم المهدودين، ولكن الأرض هدت، حيث قال سالم أيضا:

فقد هدّت الأرض لما ثوى وأيّ البريّة لا ينكب ؟![5]

***3-3-تأثر المخلوقات والكائنات:*** رأى الصحابة الحزن استشرى وعم فجاوز الفرد والجماعة ليبلغ الكائنات والمخلوقات، فكأنما جزعت هي الأخرى لفقد النبي (ص) ، أو كأن الصحابة غامت

[1] المصدر السابق،ص435
[2] المصدر السابق،ص435
[3] المصدر السابق،ص435
[4] المصدر السابق،ص436
[5] المصدر السابق،ص436

الدنيا في وجوههم فأبصروا وجه الحياة أغبر مربدّا قاتما، أبصره و صوره على ذلك عبد الحارث بن أنس، فقال:

لقد كسفت شمس النّهار لفقده وبكّت عليه الأرض، وانكسف القمر

وبكته آفاق السّماء وما لها وللأرض شجو غير ذاك ولا عبر[1]

وأحسه عبد الله بن سلمة من السماء، حين شخص إليها بصره مثلما أحسه من الأرض، فقال:

من بكته السّماء تسعدها الأر ض، وبكّت بعد القفار البحار

وسرافيل قد بكاه، وجبري ل، وميكال ، والملا الأطهار

قيل: مات النّبيّ فانصدع القل ب وشابت من هولها الأشعار[2]

**4-صورة موت النفس الشريفة وصعودها إلى بارئها:**

إن من حسن أخلاق شعرائنا في هذه المراثي أدبهم وهم يصورون في أشعارهم موت النفس الشريفة المحمدية وصعودها إلى بارئها ، كيف لا وقد اتقوا ما استطاعوا ذكر لفظة "الموت" بعينها، فلم يذكروا لفظها صراحة، وإنما اختاروا إلى فنون أخرى من القول لتصوير تلك الفاجعة، كأنهم عز عليهم أن يكون الرسول (ص) يموت كما يموت الواحد من الناس. فذهبت صفية إلى أنه مات مختارا ،فقد " ولّى" عنهم بنفسه، ولم يكره على الموت:

ثم ولّى عنّا فقيدا حميدا فجزاه الجنان ربّ العباد[3]

وبقولها قال عمرو بن سالم:

جزى منك ربّ النّاس أفضل ما جزى نبيّا هدانا ثم ولّى مودّعا[4]

وبه قال ابن ذي المشعار:

[1] المصدر السابق،ص436

[2] المصدر السابق،ص436

[3] المصدر السابق،ص437

[4] المصدر السابق،ص437

فإن يك ولّى فذا دنيه وإن نابغ بعد هذا نبغ[1]

وعلى ذلك ينحو مران ،فيصف الرسول (ص) بأنه رحمة ،ثم يجوّز بهذه الرحمة في التصوير فيجعلها هي التي" تولّت" منزها إياها هي أيضا عن الموت[2]، وكأنه ينأى بالرسول (ص) عن لفظة الموت أبعد ما يكون النأي، وينزهه عن ذكرها أشد ما يكون التنزيه، فيقول:

يا لها رحمة أصيب بها النّاس تولّت وحان منها الرّحيل[3]

ويخلص عمرو بن العاص في صورته إلى أن الرسول (ص) كأن أمانة مستردة يحرص على رجوعها صاحبها ، وصاحبها وربها هو الله العزيز الذي إذا قضى أمرا كان:

كان النّبيّ أمانة مضمونة فينا إلى أجل وحدّ أوان

فارتدّها من كان يملك ردّها هذا- لعمر أبيك -في الفرقان[4]

أو إن الرسول (ص) في صورة الزبرقان بن بدر شيء أحبه الله فحباه واجتباه واستأثر به:

فاستأثر الله به إذ وفّى أيّامهُ عند حضور الحِمام[5]

أو أن الله عز وجل أراد أن يكافئه على صالح عمله ،فدعاه إليه دعوة المثيب الشاكر المجزل في العطاء والله شاكر عليم، فما أجدر المرتحل ،وهو الرسول ،وما أكرم المرتحل إليه وهو الإله، تلك صورة عبد الله بن مالك الأرحبي في مرثيته:

دعاه إليه ربّه فأجابه فيا خير غَوريّ، و يا خير منجد![6]

وتسمو صفية عمته بقدر ابن أخيها ، فتروي أن الموت أتاه متأدبا، ولم يرعه ولم يفجأه:

---

[1] المصدر السابق،ص437

[2] المصدر السابق ،ص437

[3] المصدر السابق،ص437

[4] المصدر السابق،ص438

[5] المصدر السابق،ص438

[6] المصدر السابق،ص438

كدت أقضي الحياة لمّا أتاه قدر خطّ في كتاب مجيد[1]

ثم إن الرسول (ص) إذا كان مات وقضى الله أمره فإنه ( حي في موته) كالرجل المقيم في بيته، مثلته بذلك صفية في قولها:

فإمّا تمس في جدث مقيما فَقِدما عشت ذا كرم وطيب[2]

أو كالرجل الثاوي في تمثيل امرئ بن القيس بن عابس:

صلّى الإله عليه من مستودع أمسى بيثرب ثاويا في ملحد[3]

هذا ولم يقولوا جميعا إنه مات، لما عظم في نفوسهم من أمر موته، ولما عظمت به منزلته في نفوسهم.

**المبحث الثاني: من ناحية المبنى :**

رسم الصحابة رضوان الله عليهم صورهم للنبي (ص) من خلال مراثيهم ،بكل لون من ألوان التصوير المعروفة، ولا سيما ألوان التصوير البياني وأهمها:

***1-الصورة التشبيهية***: ولعلها أشهر الألوان وأيسرها على الشعراء، لما فيها من مجرد التوفيق بين أمرين اشتركا في معنى[4]، فهو سرعة في الفن كما يعبر بعض الباحثين[5].

ومع ذلك لم يكن التشبيه الوسيلة الكبرى في المراثي، إ ذا ما قورن بغيره من الوسائل، فقد شبه نحو سبع وعشرين مرة، ولكن ما سوى التشبيه من عناصر الصورة البيانية الأخرى كان نحوا

[1] المصدر السابق،ص439
[2] المصدر السابق،ص439
[3] المصدر السابق،ص439
[4] الخطيب القزويني، التلخيص في علوم البلاغة (تحقيق جلال الدين محمد بن عبد الرحمن-بشرح البرقوقي-)، دار الكتاب العربي، بيروت،د.ط،د.ت،ص238
[5] أحمد كمال زكي، شعر الهذليين في الجاهلية والإسلام، د.م.ط ،د.ط ،د.ت ،ص373

من سبع وستين: خمس وثلاثين استعارة بنوعيها، وتسع وعشرين كناية ،وأربعة مجازات، و معنى ذلك أن الصحابة لم يكتفوا بالمشابهة الظاهرة بين ركني التشبيه، بل قصدوا إلى التغلغل في أعماق الصورة فصيروها لسانا يسمعون به الناس نبض قلوبهم.

ومن تشبيه الصحابة العادي التشبيه المرسل، وهو الذي ظهر فيه الحرف، كقول عدي ابن حاتم :

ولكن أصبنا بالنّبيّ، فليلنا طويل كليل الأرمد المتلدّد[1]

فالغرض من هذا التشبيه هو إيضاح صورة الشعور الذي أحسه الشاعر في جوانحه، بما يعانيه من قلق ورهبة وقلة حيلة، فهم حيارى في هذا الظلام الدامس بعد غياب نور النبوة عنهم، كما يحار الأرمد المتخبط في ليل عماء.

وكثيرا ما حذفوا حرف التشبيه إمعانا في نسبة المشبه به إلى المشبه، وهذا هو التشبيه البليغ، وقد يطلق عليه المؤكد، وهو جدير به، مثاله قول عمرو بن العاص:

كان النّبيّ أمانة مضمونة فينا إلى أجل وحدّ أوان

فارتدّها من كان يملك ردّها هذا- لعمر أبيك- في الفرقان[2]

وقد أفلح عمرو في التقريب بين طرفي التشبيه، حتى لقد يظن بهذا التشبيه الاستعارة لما فيه من التناسي بالإيغال في الحديث عن خصائص المشبه به، والتفصيل فيها من حيث أن الأمانة مضمونة "وإنها ارتدها من كان يملك ردها "ولكن منع من جعله استعارة- ذكر الطرف المشبه -ولقد يجوز أن ننعت هذا التشبيه بالتشبيه البليغ المرشح قياسا على ضابط الاستعارة المرشحة" التي قرنت بما يلائم المستعار منه.[3]"

[1] محمد شمس عقاب،المراثي النبوية في أشعار الصحابة ، ص442
[2] المصدر السابق ، ص443
[3]عبد المتعال الصعيدي ، بغية الإيضاح ،ج 23،ص121

وأعمق من هذا ما أسموه التشبيه التمثيلي، وهو ما كان فيه كل من المشبه والمشبه به صورة خاصة ،كقول ابن أبي الهيثم:

وما نحن إن لم يجمع الله أمرنا بخير قريش كلّها بعد أحمد

بأمنع من شاء بقفر مطيرة بقيعة قاع، أو ضباب بفدفد[1]

فإنه شبه نفسه و قومه إن لم يجتمعوا على الخليفة القرشي بشاء تركت في مهمة أمطرتها السماء، فأظلمت ورعبت وأوحلت، أو تركت في جبل أطبق الضباب عليه فلا يبصرون، والجامع: الهوان والأذى والضعف والهلع، وهذه صورة لا يمكن الاقتصار في تناولها على جزء من المشبه به أو جزء من المشبه دون جزء، بل إن سبيل هذا النوع من التشبيه -كما يقول عبد القاهر-:" سبيل الشيئين يمزج أحدهما بالآخر حتى تحدث صورة غير ما كان لها في حال الإفراد، لا سبيل الشيئين يجمع بينهما وتحفظ صورتهما.[2]"

وشبهوا وقع أمر الوفاة عليهم بسيف يترصدهم، أو بسيف حاسم بت ظهورهم، فقتلهم وبدر آمالهم ،وشبهوا ألمهم من شماتة الشامتين بموت رسول الله (ص) بالجمر المتقد في الجوانح، وقبحوا جولة المرتدين عليهم ،فشبهوها بالرجل المجدع الذي تنفر منه الطبائع، واستهانوا بدعاء الداعي إلى الردة، وتنقصوا من حيله فشبهوها بعواء الكلب أو ولغه. وشبهوا شيوخ الصحابة حين المحنة بالأوتاد للأرض إن رجفت بالناس ،وتلك كانت نظرتهم إلى أولي النهى من أصحاب رسول الله (ص) ،الذين رضي الله عنهم ورضي عنهم رسوله .

كانوا يرون فيهم الرسوخ على الحق، ويرونهم أولي الحل والعقد، فلما أظلمت عليهم الأرض فجأة بوفاة الهادي ،اعتصموا برأيهم واستمسكوا بهداهم، فهم أخير الناس بالطريق، وأدراهم بمسالكه اللطيفة.

[1] محمد شمس عقاب،المراثي النبوية في أشعار الصحابة ،ص443

[2] عبد القاهر الجرجاني ،أسرار البلاغة ، ص101

على أن تشبيهات الصحابة أتت جزئية وقصيرة، شأنها شأن مجمل تشبيهات العرب في المراثي قبلهم، بل إن التشبيه نفسه للمرتبة القريبة من مراتب التصوير، وذلك لانشغال الشاعر فيه بالجمع بين الشيئين: المشبه والمشبه به، ثم الفصل بينهما فصلا يدرك بأقل درجات النظر، دون أن يعيش بشعوره وكيانه في أعماق صورته ،إلا بقدر إجادته في التقريب بين ركني التشبيه، وهو حتى إن فعل ذلك يبقى ثم حاجز- وإن دق- بين عاطفته وصوره ،هذا الحاجز هو الذي نزل بالتشبيه وقصر به.

وعموما يمكن القول: إن التشبيه عمود الصورة في النظرية الشعرية القديمة[1]، اعتمده شعراؤنا في مراثيهم على غرار ما يستعمله الشعراء الجاهليون.

***2-الصورة الاستعارية:*** الاستعارة فن بياني جليل القدر، عظيم التأثير، عرفه جمهور البيانيين بأنه :"اللفظ المستعمل في غير ما وضع له، لعلاقة المشابهة بين المعنيين الأصلي والمجازي، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي للفظ[2]."

فهؤلاء شعراؤنا في مراثيهم اتخذوا من الاستعارة بنوعيها لونا آخر صوروا به ما أضمرته صدورهم من الأحاسيس.

ومن جليل الاستعارة في المراثي قول حسان بن ثابت:

خير البريّة إنّي كنت في نهر  جار، فأصبحت مثل المفرد الصّادي[3]

فإنه شبه فيه النبي (ص) بنهر مغدق غزير ماؤه، كان ينهل منه ويروى، فلما مات النبي (ص) انقطع النهر فظمئ وانكمش الخير عنه، وإضفاء صفة النهر على النبي(ص) دون ذكر اسمه ،سبب لبعث المعنى الجديد في نفس القارئ ،وحث له على التدبر فيه وفي معانيه ومراميه التي

[1] عبد القادر الرباعي ،الصورة الفنية في النقد الشعري ،د.م.ط ،د.ت ، د.ط ،ص52
[2] علي البدري ،علم البيان في الدراسات البلاغية، مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،1404ه،ط2،ص176
[3] محمد شمس عقاب،المراثي النبوية في أشعار الصحابة،ص445

من أبلغها إحياء الموات، ونشر البهجة في القلوب الآيسة، وهو يفصح عما يكنه الشاعر للنبي (ص) من المعرفة بفضله، والحسرة على فقدانه، والشوق الشديد إلى أيامه.

وقول صفية(ض):

فقد رزئت أبا سهلا خليقته محض الضّرائب والأعراق والّنسب[1]

استعارت فيه للنبي(ص) صفة الأب ،فألحقتها به مع أنه ابن أخيها، والمعاني التي تحملها كلمة الأب كثيرة جدا ،منها الحنان والذود عن الولد، والإشفاق عليه، وبذل المجهود لتعليمه وتأديبه والقيام بأمره، والسرور به إذا صلح، والتباهي بذلك، والخوف عليه إن ضل، والنصيحة على ذلك....

وحسبك بهذه المعاني وبما قد يرد إليك من غيرها شرفا لهذه الاستعارة، والصورة إنما تحسن إذا أنت كلما قلبتها وقعت على وجه جديد لها.

ومن الاستعارة أيضا قول سالم الغطفاني يحكي تمكن الحزن من قلبه:

جوى حلّ بين الحشا والشّغاف فخيّم فيه فما يذهب[2]

فإن تشبيه مكث الجوى بقلبه، بالرجل الذي نصب خباءه ورمى بجرانه على أرض ليستوطنها، لمغن عن طويل من الكلام، عميق في الدلالة على تغلغل هذا الحزن واستحواذه على قلبه، وما أجمل صورة مسروق تقبيحه صورة الردة، حين استعار لها صورة غويّ عارية محلوق رأسها قبيحة تشمئز منها القلوب، دعوا إلى زفافها:

إنّها ردّة تزفّ إليك قد تعرّت ،ورأسها محلوق[3]!

[1] المصدر نفسه،ص446
[2] المصدرنفسه،ص446
[3] المصدرنفسه،ص447

إنهم لاريب مبغضوها، وصارفوا وجوههم عنها مما قد تجره عليهم من الويلات والوضاعة والدنس، واستعملوا ضربا آخر من الاستعارة يسميه النقاد المعاصرون( التشخيص)، وهو ما يترك أن من أسباب علو شأن الاستعارة تحقيقها للإيجاز والتشخيص والتجسيم والتجريد، ومن أجل ذلك أصبحت أهم وسيلة لرسم الصورة البيانية عند الشعراء[1].

فمن ذلك ما خلعه الراثون للنبي (ص) من حلة كثيبة على الخلائق المحدقة بهم، ولا سيما صفة البكاء التي هي في الأصل صفة من صفات الإنسان، كقول عبد الحارث:

لقد كسفت شمس النّهار لفقده وبكت عليه الأرض وانكسف القمر

وبكته آفاق السّماء ومالها وللأرض شجو غير ذاك ولا عبر[2]

وفي هذا النوع من الصور فائدتان: الوقوف على مدى حزن الشاعر، وكيف ينفلت منه فينطبع على ما تبصره عيناه، والإشارة إلى سعة هذا الحزن واستشرائه. ولو تركنا هذه الصورة الجزئية القصيرة لقيتنا في دروب المراثي صور أخرى كثيفة متشبعة أو متراصة كالبنيان، لا تكون إلا جملة واحدة، تقصر بالانفصال أو التقسيم عن مبتغى الشاعر وما يمليه عليه ضميره.

وخير مثال لها قول سواد بن قارب يصور رغد حياتهم مع الرسول(ص) ، وشقاءهم بعد فقده:

كنّا نحلّ به جنابا ممرعا جفّ الجناب فأجدب الرّواد

فبكت عليه أرضنا وسماؤنا وتصدّعت وجدا به الأكباد

قلّ المتاع به، وكان عيانه حلما تضمّن سكرتيه رقاد

كان العيان هو الطّريف، وحزنه باق- لعمرك- في النّفوس تلاد[3]

---

[1]ابراهيم بن عبد الرحمن الغنيم ،ا لصورة الفنية في الشعر العربي ،الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة،1416هـ ، ط1،ص148

[2]محمد شمس عقاب،المراثي النبوية في أشعار الصحابة،ص448

[3] المصد رنفسه،ص449

فقد صور الشاعر الرسول(ص) في حياته بالأرض الطيبة الخصيبة الدانيه التي يتقاطر إليها الناس والأنعام، فلما أن مات كان موته (ص) إيذانا بجفاف هذه الأرض وإقفارها كأن لم تغن بالأمس، فانصرف الناس عنها آيسين مجدبين، ثم إن الكون على جموده رق لحال الناس البائسة هذه، فبكت أرضه وسماؤه رثاء وأسفا على الناس وأرضهم التي كانت مريعة آنفا، وألم الناس أنفسهم ألما تصدعت به أكبادهم ،وروعهم أن قصرت مدة متاعهم بهذا الخير العميم الذي كان فيهم و قل ،وكان بقاءه كالحلم فيهم، والحلم في هذا المعنى حياة بين رقدتين: رقدة قبل الرسول (ص ) مظلمة من الضلال والجهل، ورقدة بعده رمداء قلقة للفراق وما سيكون من خطب، فكأنما انتاب الأمر طرافة خاطفة وخلود، فالطرافة الخاطفة المقتضبة كانت رؤية النبي (ص) كالحلم، والخلود الباقي هو الحزن الذي لا انقضاء له.

ويدخل في الصور الكثيفة الصورة المجمعة أجزاؤها من صور أصغر ،كقول العتكي يحكي صورة ما برّح بقومه يوم الوفاة:

فلقد أصبنا بالنّبيّ، وأنفنا والرّاقصات إلى البنيّة أجدع

وقلوبنا قرحى، وماء عيوننا جار، وأعناق البريّة خضّع[1]

فهي صورة لا تنال إلا جميعها، لأننا لن نحس إحساس الشاعر حقا إن نحن وقفنا عند جزء واحد أو جزأين من أجزاء هذه الصورة الواسعة، فتقرح القلوب وحده مثلا ،لا يغني في نقل عاطفة الشاعر وتمثيل تجربته كما أحب لها أن تكون، بل هذه الصورة كل كامل أراد به الشاعر التعبير عن حال قومه الكاسفة الحزينة، وهو منهم، وهو أعلم الناس بهم، وعن حال الخلق من سواهم، كما ترقبهم عينه الدامعة من بعيد.

***3-الصورة الكنائية:*** الكناية فن بياني يستعان به على رسم الصورة البيانية، ويمنح التعبير جمالا ويهب المعنى قوة ورسوخا في الذهن، وذلك لما فيها من الخفاء اللطيف، وقد أجمع الجميع

[1] محمد شمس عقاب ،المراثي النبوية في أشعار الصحابة،ص450

على أن الكناية أبلغ من الإفصاح، والتعريض أوقع من التصريح[1]، والكناية في اصطلاح علماء البيان: لفظ أطلق وأريد به لازم معناه، مع جواز إرادة المعنى الأصلي[2].

كانت الكناية صورة ذات شأن في المراثي النبوية، دارت عليها رحى الشعراء، ورجعتها أصواتهم.

فقول عبد الله بن سلمة: قيل:

مات النّبيّ فانصدع القل ب، وشابت من هولها الأشعار[3]

فيه كنايتان أريد بهما تصوير الهلع من هول المفاجأة، وقد يجوز فيهما أن تحقا وخاصة ا لثانية منهما، فدلتا إذن مع الصورة التي ارتسمت في الذهن على الشعور الصادق ،صدقا لم يكتف فيه الشاعر بإدراك التجربة، بل زاد على ذلك الوقوع في حومتها.

وكناية جدع الأنف في قول مران بن عمير:

جدعت قومي الأنوف وأجزت دمع عين، فللجفون همول[4]

تجمع بين الصورة والشعور بالحسرة والمذلة.

.

وقول ابن ذي المشعار:

فسمعي- لعمرك- من بعده ثقيل، وفي بعض نطقي لثغ[5]

صورة تحكي الصدمة والذهول والكربة، وهي فوق ذلك تلخص شعورا شاملا يعتري الشاعر لا

[1] عبد القاهر الجرجاني ،دلائل الإعجاز، ص55
[2] بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد ،د.م.ط ،د.ت ،ج2،ص153
[3] محمد شمس عقاب،المراثي النبوية في أشعار الصحابة،ص452
[4] المصدرنفسه،ص452
[5] المصدرنفسه،ص452

يقف عند ثقل السمع وعي اللسان فحسب، بل إن هذين رمزان لا غير لمشاعر أخرى من حزن وألم وحسرة، وتلك مزية أخرى من مزايا الكناية: أنها تترك الباب واسعا لتخيل ما وراء الصورة ا لمعلنة، وإشراك القارئ في بناء الصورة، فمن قال: إن ثقل السمع لا يستتبعه شغل القلب وشرود البصر وضيق الصدر؟ ومن ينكر أن حبسة اللسان ليست إلا عن صدمة العقل وشدة الألم الذي يكبر عن الكلام، أو الذي لا يستطيع الكلام التعبير عنه؟!

وكناية طيب الثوب في قول صفية:

فاتح خاتم رحيم رؤوف صادق القيل، طيّب الأثواب[1]

صورة ذهنية للعفة، أو للطهارة أو للتجمل ،بكل ما تحمله هذه الكلمات من معان أو إشارات، وصورة حقيقية في الوقت ذاته.

فكذلك إذن تختلف الكناية عن غيرها من الصور بقوتها على الجمع بين المجاز والحقيقة، وقد أبعد من ظن أن: التفرقة بين التشبيه والاستعارة والكناية وما إليها تفرقة شكلية بحتة ، فكلها في نهاية الأمر- في رأيه- صور يبدعها الخيال...[2]

أبعد ونأى بنفسه عن كثير من فواتح اللغة وتجلياتها.

إن الوظيفة الفنية للكناية تكمن في خاصية التلميح، التي هي علامة البلاغة وقوام الشعر. وكذا في إثبات المعنى وتأكيده، بما يفيد الدليل والبرهان والجنوح به إلى المبالغة والتزيد عما تنتجه الحقيقة[3].

**4-المعجم الشعري:**

[1] المصدرنفسه،ص453

[2] مصطفى بدوي ،دراسات في الشعر والمسرح ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة،ط2 ،1979 ،ص24

[3] عتيق عبد العزيز، علم البيان،ص223

هو تلك الألفاظ التي يكثر دورانها في قصائد شاعر معين، أو مجموعة من الشعراء، حتى تغذو ملحما أسلوبيا يتصف بها هذا المنجز أو ذاك، وقد أشار إلى هذه الحقيقة الجاحظ بقوله:" ولكل قوم ألفاظ حظيت عندهم، وكذلك كل بليغ في الأرض وصاحب كلام منشور وكل شاعر في الأرض وصاحب كلام موزون، فلابد أن يكون قد لهج وألف ألفاظها بأعيانها، ليديرها في كلامه، وإن كان واسع العلم غزير المعاني كثير اللفظ.[1]"

إذ يعمد الشاعر إلى استخدام عددا من المفردات الخاصة بما ينسجم والموقف الذي يحاول التعبير عنه، فلكل إنتاج إبداعي نسيج لغوي خاص به يستخدم فيه الشاعر الألفاظ استخداما خاصا بما تتفاعل معه تجربته الروحية ، وتتكاثف في إنجازها قدرته الفنية وفلسفته في استخدام اللغة، بما يكشف عن روح التجديد وقوة الشاعرية.[2]

وهو بذلك قد يخرج بالكلمات من طبيعتها الراسخة بأوضاعها القاموسية المتجمدة ،إلى طبيعة جديدة يفرضها عليه تطور المعاني والدلالات التي خضعت لها التجربة الشعرية في نفس الشاعر ليصوغ منه تجربته الشعرية محققا في نفس القارئ والسامع وجودا وتداعيا لذيذا.[3]

أما عن المعجم الشعري للألفاظ التي تضمنتها المراثي النبوية في قصائد شعراء الحجاز ، فإنها تستشف من تجليات صورة النبي (ص) عندهم، من خلال حياته (ص) ،والأخرى حين موته وافتقاده بينهم.

فدارت في المراثي مجاميع من الألفاظ ، أبرزها: ألفاظ الدموع والبكاء التي لاءمت موقف الفقد، وقبلها ألفاظ نعوت النبي (ص) التي جاءت على قسمين: نعوت دينية متوقعة ،ونعوت بشرية نعته بها من بعد عنه جدا ،فلم يمسه من الدين ما مسه إخوانه، أو قرب منه جدا فعرف من نعوته البشرية مثلما عرف من نعوته الدينية.

---

[1] الجاحظ ، ا لحيوان ،ج3،ص366

[2] الألبيري، لغة الشعر (مجلة كلية الآداب)، ص201

[3] خليل ابراهيم العطية ،التركيب اللغوي لشعر السياب ، د.م.ط، د.ت ،د.ط ،ص28

ومن هذه المجاميع أيضا مجموعة ألفاظ أسماء المخلوقات والأعلام التي سيقت لإفادة معاني متفرقة[1].

أيضا اختلفت المراثي النبوية عن المراثي الجاهلية ، فظهرت فيها آثار واضحة من ألفاظ القرآن ومن ألفاظ السنة.[2]

لنبدأ بالألفاظ التي تخص حياة النبي وهو بين ظهراني أصحابه رضوان الله عليهم ،والتي تكررت غير ما مرة لفظة: النور، ومن مثلها البدر والسراج، وهي تجيء- كما سلف- للثناء على الدين أو على الرسول، وكيف أنهما أخرجا الناس من الظلمات وأضاءا لهم الطريق، ومن أمثلة ذلك، قول حسان بن ثابت:

بطيبة رسم للرّسول ومعهد منير، وقد تعفوا الرّسوم، وتهمد[3]

وقول عامر بن الطفيل الأزدي:

بكت الأرض والسّماء على النّو رالّذي كان للعباد سراجا

من هدينا به إلى سبل الحق ق وكنّا لا نعرف المنهاجا[4]

ومن الألفاظ أيضا لفظة :الرحمة، وهي مقتبسة من القرآن الكريم، فوردت في عدة مواضع من قصائد الشعراء ،نحو ما قاله مران:

يا لها رحمة أصيب النّا س تولّت، وحان منها الّرحيل[5]

وقول صفية:

[1] محمد شمس عقاب ،المراثي النبوية في أشعار الصحابة،ص488-489

[2] المصدر نفسه ،ص489

[3]المصدر نفسه ،ص84

[4]المصدر نفسه ،ص213

[5] محمد شمس عقاب،المراثي النبوية في أشعار الصحابة ،ص440

رحمة كان للبريّة طرّا فهدى من أطاعه للسّداد[1]

كان وقع الخبر- خبر موت النبي (ص) - وقع مصيبة على أهله رضوان الله عليهم، وكذا أصحابه على حد سواء، مما خلف انعكاسا في رثائهم له (ص) من لفظ تكرر وتعدد ليوافق وقع ما أصابهم، ومنه لفظة البكاء والدموع التي انسحبت على كثير من أفواه الشعراء، على غرار مسروق حينما قال:

قلت والدّمع كالجمان على النّح ر وقد لاح في السّماء العيّوق

كلّ أمر فإن تعاظمني الصّب رعليه بعد النّبيّ دقيق[2]

ويحكي مران فيقول:

جدعت قومي الأنوف، وأجرت دمع عين، فللجفون همول[3]

أما العتكي فيقول:

فلقد أصبنا بالنّبيّ وأنفنا والرّاقصات إلى البنيّة أجدع

وقلوبنا قرحى، وماء عيوننا جار، وأعناق البريّة خضّع[4]

وإذا كانت كل ألفاظ المعجم الشعري الخاصة برثاء الرسول (ص) السالفة مباشرة ومقصودة الرثي، فإن لفظة: الموت هي اللفظة التي لم يذكرها شعراء المراثي مباشرة وصراحة، بل جانبوا ذكرها في حقه (ص) ،تأدبا معه واحتراما لقدره، وعوضوا ذكرها بألفاظ وعبارات قصيرة من بينها: صعود النفس الشريفة لبارئها، و لفظة: ولّى عنهم بنفسه مختارا، ولفظة :كأمانة

[1] المصدر نفسه ،ص440

[2] المصدر نفسه،ص434

[3] المصدرنفسه،ص435

[4] المصدرنفسه،ص435

مستردة.

فهذه صفية تعبر عن التولّي فتقول:

ثمّ ولّى عنّا فقيدا حميدا فجزاه الجنان ربّ العباد[1]

ويقول عمرو بن سالم:

جزى منك ربّ النّاس أفضل ما جزى نبيّا هدانا ثم ولىّ مودّعا[2]

وبه قال ابن ذي المشعار:

فإن يك ولىّ فذا دنيه وإن نابغ بعد هذا نبغ[3]

وعلى ذلك ينحو مران حين يقول:

يا لها رحمة أصيب النّاس بها تولّت وحان منها الرّحيل[4]

وعلى دربهم قال عمرو بن العاص:

كان النّبيّ أمانة مضمونة فينا إلى أجل وحدّ أوان

فارتدّها من كان يملك ردّها هذا- لعمر أبيك- في الفرقان[5]

ومن الألفاظ التي مست حقل المخلوقات والأعلام وظهرت بمعجم شعري ضمن مراثي شعراء الحجاز نجد: السماء، والأرض، والقمر، والبحار، وإسرافيل، وجبريل، وميكائيل، والغيث

[1] محمد شمس عقاب،المراثي النبوية في أشعار الصحابة،ص437

[2] المصدر نفسه،ص437

[3] المصدر نفسه،ص437

[4] المصدر نفسه،ص437

[5] المصدر نفسه،ص438

والدهر، ويثرب، وكلها ألفاظ استعان بها شعراؤنا في رثي نبينا (ص) قاصدين بها معناها الحقيقي والمباشر ومعناها المجازي غير المباشر.

أما ما قصد به المعنى الحقيقي نجد مثلا لفظة: يثرب، حين مثله امرؤ بن القيس بن عابس كالرجل الثاوي، فقال:

صلّى الإله عليه من مستودع  أمسى بيثرب ثاويا في ملحد[1]

وأما ما قصد به المعنى المجازي نجد مثلا لفظة: الشمس، مثل ما صوره على ذلك عبد الحارث بن أنس فقال:

لقد كسفت شمس النّهار لفقده  وبكت عليه الأرض وانكسف القمر
وبكته آفاق السّماء ومالها  وللأرض شجو غير ذاك ولا عبر[2]

هذا واحتفت المراثي النبوية لمجموع شعراء الحجاز بمجموعة كبيرة من ألفاظ القرآن ،أين اقتبسوا منها ألفاظا لمراثيهم والتي منها: الشنان، وأجلب ،والصعر ، وهدى،... ومثال ذلك ما يتلو الشاعر عبد الحارث بن أنس من قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ [لقمان: 18]. فيستجيب له وينقله إلى مرثيته في قوله:

بنجران نعطي من سعى صدقاتنا  موفّرة، ما في الخدود لها صعر[3]

وعلى نحوها احتوت المراثي النبوية على ألفاظ من السنة النبوية، أين حاكى الشعراء فيها ألفاظا منها في أشعارهم، فلفظتا: الصلاة، والسلام تكررت أيما مرة في أحاديثه(ص)، كقوله(ص):" البخيل الّذي من ذكرت عنده، فلم يصلّ عليّ."[4]

[1] المصدر نفسه،ص439
[2] محمد شمس عقاب ،المراثي النبوية في أشعار الصحابة،ص448
[3] المصدر نفسه،ص421
[4] الترمذي ،سننه،ص3546

فجاء قول أبو سفيان بن الحارث فصلى عليه صلاة ديمة لم يبغ لها تحولا ولا نهاية عندما قال:

صلاة الله من ربّ رحيم عليه، لا تحوّل، ولا تزول[1]

وصلاة عبد الله بن سلمة عليه صلاة تمتد أمد الدهر:

فعليك السّلام ما هبّت الرّي ح ومدّت جنح الدّجى أنوار[2]

فهم بذلك يقرؤون عليه السلام، ويصلون عليه أبد حياتهم وهو معهم ،وكما أمرهم بالصلاة عليه(ص)، أو بعد توليه وموته وفنائه عنهم، فإنهم يواصلون طاعتهم في الصلاة والسلام عليه أبد الدهر.

[1] محمد شمس عقاب ،المراثي النبوية في أشعار الصحابة،ص430

[2] المصدرنفسه،ص430

# الخاتمة

**خاتمة:**

احتل غرض الرثاء قديما مكانة عميقة في نفوس الشعراء الجاهليين، ومن بعدهم شعراء صدر الإسلام كيف لا وهو يصدر من عاطفة حزينة معبرة اتجاه المرثي.

فالتعابير والمشاعر الصادقة تنبع في أسى وحزن من نفس أصابها فقد عزيز أو قريب ،فيقوم الراثي حينها بوصف المرثي بصفات الثناء وذكر المحاسن وكأنه ممدوح مع فارق أن المرثي فاضت روحه إلى خالقها.

أما والمرثي هو نبينا محمد(ص)،فالفقد حينها جلل لما للفقيد من مكانة خاصة في نفوس عموم المسلمين وأصحابه الشعراء خصوصا.

لتخلص دراستي هذه لأهم الخصاص الفنية لصورة النبي (ص) في كتاب المراثي النبوية في أشعار الصحابة رضوان الله عليهم فيما يلي:

1-أشعار رثاء الصحابة للنبي(ص) جاءت في معظمها قصيرة مقتضبة غير مطيلة ،وغابت عنها المقدمات الطلالية والغزلية ،تماشيا مع ما يقتضيه طابع الرثاء النبوي من مباشرة التعبير عن ما يختلج الراثي من عواطف الحزن والأسى.

2-مطلع قصائد المراثي النبوية تضمنت ألفاظا مناسبة لنمط الرثاء النبوي :تفجعا وتأبينا وتعزية من مثل: الألفاظ الحسية على غرار العين والأنف وشعر الرأس ،ثم يختتمون رثيهم بالصلاة والسلام عليه.

3-التزم شعراء الصحابة رضوان الله عليهم بوحدة الموضوع ،فلم يخالطوا رثاءهم بغرض آخر،

وجاءت ألفاظهم خالية من الغرابة ،فلغة شعرهم بسيطة لكنها موحية في معانيها، خاصة عندما مازجت بين إبراز صفاته(ص) الخُلقيَّة وهو بينهم ثم صورته عند وقع المصيبة وفقده (ص).

4-تراوحت الصورة الفنية عند شعرائنا بموقف التأثر البشري عند فقد عزيز فانهمرت الحواس الجسمية تستجيب لذلك: دموع-بكاء-شيب-...،وموقف تأثر المخلوقات والطبيعة التي استعير في معناها لدعم عاطفة الأسى والحزن .

5-بعض الرثاء النبوي في أشعار صحابته جاء مبايعة لأبي بكر الصديق(ض) ومحاربة للمرتدين.

6-ضمت بعض القصائد الرثائية النبوية مزجا بين ذم المرتدين ومقام رثاء النبي(ص ).

7- الصور التشبيهية في قصائد الصحابة أتت جزئية وقصيرة على غرار تشبيهات شعراء العرب الجاهليين.

8-استعمال ألفاظ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة في مراثيهم للنبي(ص) كخاصة فنية مستحدثة في عصر صدر الإسلام.

هذا ويبقى الموضوع واسعا وعميقا يستوجب مزيدا من البحث والتمحيص حتى يوفى حقه.

## قائمة المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

### المصادر:

-محمد شمس عقاب،المراثي النبوية في أشعار الصحابة ،دار مكتبة الإمام البخاري،القاهرة،ط1، 2013

### المراجع:

-أحمد مطلوب ،معجم المصطلحات ،مكتبة لبنان،بيروت،ط1، 2001

-أبو هلال العسكري ،الصناعتين :الكتابة والنسيج ،تحقيق علي محمد بجاوي ورفيقيه ،المكتبة العصرية،بيروت،د.ط ، 1976

-ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي ،الإصابة في التمييز بين الصحابة ،دار الكتب العلمية،ط1، 1995

-إحسان عباس ،فن الشعر ،دار الثقافة،بيروت،ط3،د.ت

-ابراهيم بن عبد الرحمن الغنيم ،الصورة الفنية في الشعر العربي ،الشركة العربية للنشر والتوزيع،القاهرة،ط1، 1996

-الأصمعي ،فحولة الشعراء ،شرح وتحقيق محمد عبد المنعم الخفاجي،طه محمد الزيني المطبعة المنيرية بالأزهر، القاهرة، د.ط، د.ت

-الألبيري،لغة الشعر ،مجلة كلية الآداب،د.م.ط ،د.ط ،د.ت

-بطرس البستاني ،أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ،د.م.ط،ج1،د.ت

-بكري شيخ أمين ،البلاغة العربية في ثوبها الجديد،د.م.ط،د.ت،ج2

-الجاحظ، الحيوان ،تحقيق عبد السلام محمد هارون ،شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ،مصر،ط2 ،ج3، 1965

-جلال الدين السيوطي، الإكليل، ج10 ،تحقيق ابن الخطيب،د.م.ط ،د.ط ،د.ت

-حسن جاد حسن ،الأدب العربي بين الجاهلية والإسلام ،دار العرب، دمشق ،ط1، 2012

-حسن كامل الصيرفي ،مقدمة لنشرة الديوان ،تحقيق سيد حنفي حسنين، دار المعارف،القاهرة،د.ط ، 1974

-الحسن بن أحمد الهمداني ،الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير،ج10 ،تحقيق محمد الدين الخطيب، الدار اليمنية،ط1، 1407ه

-خليل حاوي ،الصورة الشعرية ،هدية جمعة البيطار: دار الكتب الوطنية ،أبو ظبي،د.ط،د.ت

-الخطيب القزويني ،التلخيص في علوم البلاغة ،تحقيق جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بشرح البرقوقي،دار الكتاب العربي ،بيروت ،د.ط ،د.ت

-الزمخشري ،أساس البلاغة ،تحقيق عبد الرحمن محمود ،دار المعرفة ،لبنان ،د.ط ،د.ت

-السباعي السباعي بيومي ،تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي ،مكتبة الأنجلو،القاهرة،د.ط ،ج2 ، 1952

-سعد القحطاني ،رحمة للعالمين ،مطبعة سفير الرياض ،الرياض ،د.ط ،د.ت

-شوقي ضيف ،العصر الجاهلي ،دار المعرفة،القاهرة،ط20 ،د.ت

-عز الدين اسماعيل ،الأدب وفنونه-دراسة ونقد-دار الفكر العربي ،القاهرة ،د.ط ،2013

-علي خليفة ،الأدب في العصر الجاهلي ،دار الوفاء ،الإسكندرية ،د.ط ،د.ت

-عباس محمود العقاد ،عمر بن العاص، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة ،د.ط ،د.ت

-علي البدري ،علم البيان في الدراسات البلاغية ،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،ط2 ،1404ه

-فؤاد إفرام البستاني ،منجد الطالب ،دار المشرق لبنان،بيروت،ط22، 1986

-ابن منظور ،لسان العرب ،دار الصادر،بيروت،ج1،ط1، 2000 ،مادة رثا

-مصطفى عبد اللطيف السحرتي ،الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث، مطبعة المقتطف ،د.م.ط ،د.ط ، 1948

-محمود محمد الطناحي ،مدخل إلى نشر التراث العربي ،مكتبة الخانجي،القاهرة،ط1، 1405ه

-محمد ابن سعد البغدادي ،الطبقات الكبير، مكتبة القاهرة،د.م.ط،ج 2 ، 2002

-محمد بن عمرانين موسى ،معجم الشعراء للمرزباني ،تحقيق عبد الستار أحمد فراج ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،سلسلة الدخائر،ع93

-محمد القزويني ،درة الضرع لحديث أم زرع ،تحقيق مشهور حسن ساعان ،دار بن حزم، بيروت،ط1، 1991

-محمد بن العثيمين ،مكارم الأخلاق، د.م.ط ،ط1،د.ت

-مصطفى بدوي ،دراسات في الشعر والمسرح ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة،ط2، 1979

-وهب أحمد رومية ،شعرنا القديم والنقد الجديد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت،ع207 ، مارس1996

# فهرس المحتويات


| العنوان | الصفحة |
|---|---|
| الإهداء | |
| الشكر والعرفان | |
| ملخص البحث | |
| مقدمة | أ - ب –ج |
| تمهيد: الرثاء والقصيدة الرثائية وتطور الصورة الشعرية | 02 |
| مفهوم الرثاء | 02 |
| مفهوم الصورة | 02 |
| أقسام الصورة | 03 |
| الفصل الأول: قصيدة المراثي النبوية وشعراؤها | 13 |
| المبحث الأول: أنماط الرثاء النبوي | 13 |
| -خطاب التفجع | 14 |
| -خطاب التأبين | 14 |
| -خطاب التعزية | 15 |
| المبحث الثاني: شعراء المراثي النبوية وصور أنماط الرثاء النبوي | 15 |
| شعراء صورة التفجع: | 16 |
| -أبو بكر الصديق(ض) | 16 |
| -كعب بن مالك(ض) | 17 |
| -علي بن أبي طالب(ض) | 17 |
| -عمر بن الخطاب(ض) | 18 |
| -عمر بن العاص(ض) | 18 |
| -ابن ذي أصبح الحميري | 19 |
| -سواد بن قارب | 19 |
| -شداد بن مالك بن ضمعج | 20 |
| -عمرو بن الفحيل الزبيدي | 20 |
| -مران بن عمير ذي مران | 20 |
| -أبو ذؤيب الهدلي | 21 |
| -أبو سفيان بن الحارث | 22 |
| -سالم الغطفاني | 23 |
| -عبد الله بن أنس | 23 |
| -عمرو بن سالم الخزاعي | 23 |
| -أبو الهيثم بن التيهان | 24 |
| -أم أيمن | 24 |
| -أم رعلة | 25 |

| | |
|---|---|
| -فاطمة الزهراء(ض) | 25 |
| -هند بنت أثاثة | 26 |
| -هند بنت الحارث بن عبد المطلب | 26 |
| شعراء صورة التأبين: | 26 |
| -حسان بن ثابت(ض) | 26 |
| - امرؤ القيس بن عابس | 28 |
| -ذو الكلاع الحميري | 28 |
| -عامر بن الطفيل الأزدي | 29 |
| -الزبرقان بن بدر | 29 |
| -لبيد بن ربيعة | 30 |
| -أروى بنت عبد المطلب(ض) | 30 |
| -عا تكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل | 30 |
| شعراء صورة التعزية: | 31 |
| -عبد الحارث بن أنس بن الديان | 31 |
| -عبد الله بن سلمة الهمداني | 31 |
| -عبد الله بن مالك الأرحبي | 32 |
| -محقبة/مجفنة/عقبة بن النعمان العتكي | 32 |
| -مسروق بن ذي الحارث الهمداني | 33 |
| -ابن ذي المشعار | 33 |
| -عدي بن حاتم | 33 |
| -صفية بنت عبد المطلب(ض) | 34 |
| الفصل الثاني: تجليات صورة النبي (ص)الفنية عند شعراء الحجاز: المعنى والمبنى | 37 |
| المبحث الأول: من ناحية المعنى | 37 |
| -صورة النبي(ص) الخُلقيَّة | 37 |
| -صورة النبي(ص) في الحياة | 41 |
| -صورة وقع المصيبة | 43 |
| -صورة موت النفس الشريفة وصعودها إلى بارئها | 46 |
| المبحث الثاني: من ناحية المبنى | 48 |
| -الصورة التشبيهية | 48 |
| -الصورة الاستعارية | 51 |
| -الصورة الكنائية | 54 |
| -المعجم الشعري | 56 |
| خاتمة | 64 |
| قائمة المصادر والمراجع | |
| فهرس المحتويات | |
| ملحق | |

**ملحق:**

## تعريف بالكاتب والكتاب:

مؤلف المراثي النبوية في أشعار الصحابة هو كتاب لمؤلفه محمد شمس عقاب في طبعته الأولى عن دار النشر، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع في دولة مصر، سنة1435ه الموافق لسنة 2013م.

أصل هذا الكتاب هو رسالة ماجستير نوقشت في قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية سنة1431ه الموافق لسنة 2010م بإشراف الأستاذ الدكتور سعيد حسين منصور ،ومن الدوافع التي جعلت الكاتب ينظم هذا الكتاب قوله في مقدمة كتابه: المراثي النبوية في أشعار الصحابة ديوان بحث منثور في أشتات الكتب المتقدمة، ولعل أحدا لم يفرده ببحث إلا الدكتور محمد أبو المجد علي في كتابه مراثي النبي(ص).

وجاء الكتاب في خطته متضمنا تمهيدا وثلاثة أبواب وخاتمة.

ففي التمهيد تكلم فيه الكاتب على المصادر الجديدة ،ثم التعريف بالمرثية مع ضبط حد مصطلح الصحابي .

أما عن الأبواب فتناول فيها ما يلي:

الباب الأول: توثيق مراثي الصحابة رضوان الله عليهم وفيه خمسة فصول:

-الأول: توثيق مراثي أبي بكر الصديق-الثاني: توثيق مراثي حسان بن ثابت

-الثالث: توثيق مراثي من لهم غير مرثية-الرابع: توثيق مراثي أهل اليمن

-الخامس: توثيق مراثي طائفة من العرب

الباب الثاني: توثيق مراثي الصحابيات رضوان الله عليهن وفيه فصلين:

الأول: توثيق مراثي صفية بنت عبد المطلب

الثاني: توثيق طائفة من الصحابيات

الباب الثالث: الخصائص الفنية في المراثي النبوية

وكان ترتيب الصحابة في الفصول على حرف الروي ترتيبا هجائيا إلا من غلب كنيته أو لقبه، ثم يلج إلى المرثية فينظر في صحة نسبتها إلى صاحبها وذلك بنقدها وتقليبها خارجيا بحثا عن مصادرها ونسبتها، ثم نسبها إلى رواتها.